

حديث السجون
ودراسة في ثوبه العشرين بالقدس



دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

*

darjundi46@gmail.com

حديث السجون ودراسة في ثروة العشرين بالقدس

(ناهض خميس زقوت)

*

الطبعة الأولى (2023).

*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

حديث السجون

ودراسة في ثروة العشرين بالقدس

اعداد ودراسة

ناهض خميس زقوت

الطبعة الأولى

2023 م

قصيدة موجهة إلى خليل بيدس وهو في السجن:

السجن أبلغ ما ألقيت من خطب فاخطب بنا صامتاً في عشك الذهبي
ففي السكوت معانٍ ليس يعربها قول وما القول إلا صورة الأرب
فانعم بسجنك إن السجن مفتخر فذكر (سقراط) لم يبرح من الكتب
وذا صديقك وهو الحق يخذلهم والأرض تمشي على مهل بلا تعب
يفديك بالروح أحرار لقد عشقوا فيك الفضيلة من عجم ومن عرب

(جريدة القدس الشريف 6 أيار 1920)

المقدمة

تأتي هذه الدراسة كمادة خلفية وامتداد في الرؤية، لكتاب خليل بيدس (حديث السجون) هذا الكتاب الذي كتبه بعد أن شارك في احتفال النبي موسى بالقدس يوم 4 نيسان/ إبريل 1920، حيث حدثت اضطرابات، واتهمته السلطات البريطانية بالتحريض إلى جانب آخرين من زعماء الحركة الوطنية، وتم اعتقاله وأودع السجن في القدس ثم نقل إلى سجن عكا.

وبعد أن أفرج عنه كتب تجربته الذاتية عن أحداث ذلك اليوم وما تعرض له في الاعتقال، وما جرى من محاكمة، وتنقله بين السجون، في دراسة طويلة بعنوان "حديث السجون" ونشره أولاً على صفحات مجلة النفائس، في العدد الثامن عشر، بتاريخ 15 أيلول 1920، من السنة السابعة، قبل أن يصدره في كتاب مستقل، ونؤكد أنه أول كتاب عن التجربة الاعتقالية في الأدب الفلسطيني. وهذا الكتاب ضاع في زحمة أحداث نكبة عام 1948، ولكن المجلة حفظت الكتاب في نسخته الأولى، وهي النسخة التي ننشرها في هذا الكتاب.

وتكمن أهمية هذا الدراسة في اجلاء الحقيقة عما حدث في ثورة النبي موسى بالقدس، وبيان حوادثها، حيث لم يتم وضع دراسة منفصلة كاملة لهذه الثورة، وإنما اشارات لها في العديد من الدراسات التاريخية والسياسية، لذا وقع العديد من الكتاب والباحثين والمؤرخين الذين تناولوا هذه الثورة في أخطاء. فقد تعددت الآراء والكتابات حول أحداثها وأسباب اندلاعها، وثمة روايات تحمل العرب مسؤولية الأحداث، وروايات أخرى تحمل اليهود مسؤولية الأحداث، وتعددت الروايات ما بين روايات متناقضة، وروايات تجانب الصواب، ومما زاد في غموض الأحداث أن فرضت سلطات الاحتلال البريطاني الحذر على الصحف والمجلات نشر أخبار الحوادث استناداً للأحكام العرفية التي أصدرتها عقب الأحداث.

من هنا يأتي أهمية هذه الدراسة الشاملة في تعديل وتصحيح العديد من الأحداث والآراء والمواقف حول ثورة العشرين، مع الإشارة إلى تاريخ موسم النبي موسى وما كانت تجري فيه من احتفالات، وحقيقة وجود قبر للنبي موسى في المكان شرقي البحر الميت قرب أريحا. كما أن نشر كتاب "حديث السجون" يكتسب أهمية كبيرة من حيث أنه الوثيقة الوحيدة المسجلة تاريخياً كتجربة شخصية شاهدة على أحداث ثورة العشرين. كما أنه يعدل الكثير من المعلومات حول هذه المرحلة من حياة الكاتب والصحفي خليل بيدس، وأهمها في طبيعة الحكم الذي حكم عليه، فقد كان الحكم سنتين مع دفع غرامة قدرها عشرون جنيهاً مصرياً، ثم خفض الحكم إلى ستة أشهر.

يقول بيدس: "شاركت في احتفال النبي موسى بالقدس يوم 4 نيسان 1920، وخطبت في الجماهير المحتشدة من على شرفة جمعية النادي العربي بالقدس. وفي مساء ذلك اليوم اعتقلتي الحكومة البريطانية بتهمة تحريض الجماهير، وأوقفتني في سجن القدس. وفي السابع من نيسان أفرجت عني، وبعد أسبوعين عادت الحكومة واستدعتني للمحاكمة. بوشر في محاكمتي في اليوم العشرين من نيسان، واستمرت المحاكمة أسبوعاً، وحكم علي بالسجن سنتان، ومكثت في سجن القدس من 20 نيسان إلى 19 أيار، وبعدها نقلت بالقطار إلى سجن عكا، وبعد فترة في سجن عكا خفضت الحكومة السجن من سنتين إلى ستة أشهر، وفي 8 تموز تم الافراج عني".

يشكل خليل بيدس مدرسة في الثقافة والإعلام، فقد بدأ حياته الثقافية منذ أواخر القرن التاسع عشر واستمر حتى النصف الثاني من القرن العشرين، كانت بداياته ترجمات عن الآداب الروسية فهو خريج المدرسة الروسية وأحد مدرسيها لاحقاً، فترجم روايات وكتابات روسية مثلت الريادة في الترجمة عن اللغة الروسية منها: رواية شقاء الملوك (1909)، ورواية أهوال الاستبداد (1910)، ورواية الحساء المتكرة

(1911)، ورواية هنري الثامن وزوجته السادسة (1912)، ورواية العرش والحب (1914)، بالإضافة إلى ترجمة العديد من الدراسات عن الآداب والثقافة الروسية. وبعد اعلان الدستور العثماني عام 1908 أسس أول مجلة أدبية في فلسطين باسم "النفائس العصرية" واستمر في اصدارها من حيفا إلى القدس حتى سنة 1923. وكان رائداً في الكتابة الأدبية فقد نشر أولى الروايات الفلسطينية بعنوان (الوارث) بالقدس 1920، والمجموعة القصصية (مسارح الأذهان) بالقاهرة 1924، بالإضافة إلى الكتابات القصصية والروائية على صفحات مجلة النفائس. لقد وضع خليل بيدس أربعة وأربعين كتاباً، ما بين مترجم ومؤلف في شتى المعارف والعلوم، ولكن دليل الكتاب العربي الفلسطيني الصادر عام 1946 لم يذكر من كتبه إلا أربعة وثلاثين فقط، وقد أورد الباحثون من مؤلفاته ثمانية وثلاثين كتاباً. وقد شملت جهوده الإبداعية ميادين متعددة من المعرفة والثقافة، والتعليم، والصحافة، والترجمة، والقصة، والرواية، والأحاديث الإذاعية. وإلى جانب ذلك كانت نشيطاً في المجال السياسي والاجتماعي، فقد اختارته الطائفة الأرثوذكسية لمكانته العلمية والثقافية، ممثلاً لها في مقر البطريركية بالقدس، وخلال إقامته في القدس شارك في الحركات القومية ونضالها ضد الحكم التركي، والاحتلال البريطاني، ومؤكداً على رفضه للمشروع الصهيوني.

خليل بيدس - سيرة ذاتية

خليل إبراهيم بيدس⁽¹⁾ من مواليد مدينة الناصرة عام 1874م، كما هو مدون في سجلات المعمودية في الكنيسة الأرثوذكسية. كان والده (إبراهيم) تاجراً جوالاً يبيع الأقمشة المصبوغة، وتوفى شاباً لم يتجاوز الثلاثين من عمره، وكان خليل آنذاك في الخامسة من عمره. ولم تلبث والدته (وردة) طويلاً بعد وفاة والده، إذ تزوجت وتركته مع أخته في رعاية جدته (دلّه)، ثم تولى أمر عنايته عمه (الياس صباغ)، وعاش بيدس في كنف عمه وحضانة خالته.

أما أسرته فهي أسرة (الصباغ) وهي أسرة مسيحية تنتمي لطائفة الروم الأرثوذكس، وما (بيدس) سوى لقب أطلق على عمه (يوسف)، وذلك أنه كان يعيش في الحي رجل غريب الأطوار، متين العضل، ويعمل في البناء، واسمه بيدس، وتميز بالقوة الجسدية. وكان (يوسف) عم (خليل) يتميز بالقوة العضلية والجسدية، ولا يستطيع أحد أن يباريه في رفع الأثقال أو في المبارزة الجسدية، فلقب ببيدس لقدرته على العراك والمهاجمة. وكانت له أخت اسمها (مريم) تعد زعيمة النساء في الأفراح والأتراح، فإذا أقيمت قال المجتمعون: جاءت مريم أخت بيدس، فغلب هذا اللقب على تسمية العائلة بالصباغ، وصارت تعرف به.

تلقى خليل بيدس دروسه الابتدائية في مدرسة الروم الأرثوذكسية، على يد المعلم (يوسف النصر)، فأخذ عنه مبادئ القراءة والكتابة في اللغة العربية، كما درس على يديه كتاب المزامير والكتب الدينية الأخرى. وعندما افتتحت الطائفة الأرثوذكسية الروسية "مدرسة دار المعلمين العالية" في الناصرة، درس فيها مدة ست سنوات، وتخرج بعدها ليصبح مديراً للمدرسة الابتدائية الروسية في حمص/ سورية، وقضى

(1) لقد استفدنا في كتابة سيرة حياته من العديد من المراجع والكتابات التي تناولت حياته، وأهمها كتاب الدكتور ناصر الدين الأسد، الذي يعد المرجع الرئيسي لكل من تناول حياة خليل بيدس.

هناك سنتين، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية الروسية في بسكنتا/ لبنان، حيث درس على يديه الطالب/ الأديب لاحقاً (ميخائيل نعيمة)، الذي كان تلميذاً في هذه المدرسة. وقد أشار ميخائيل نعيمة إلى ذلك في سيرته الذاتية المعنونة (سبعون)، بقوله: "كانت المدرسة تضم خمسة معلمين وثلاث معلمات، على رأسهم مدير تخرج من دار المعلمين الروسية في الناصرة بفلسطين، ودرس فن التربية والتعليم والإدارة المدرسية". وفي لبنان تزوج بيدس من السيدة (ادال أبي الروس)، التي كانت إحدى المعلمات في مدرسته، وأنجب منها أربعة أولاد وبناتاً، وهم: إبراهيم، ويوسف، وأميل، وهنري، ولم نعرف اسم البنت، ولكنها متزوجة وتعيش في القدس.

في عام 1908 نقل بيدس إلى حيفا، وقد شجعه إعلان الدستور العثماني على إصدار مجلة باسم "النفاث"، والتي ذاع صيتها في الأوساط العلمية والثقافية بالبلاد العربية. وقد اهتم بيدس بمجلته اهتماماً كبيراً مما جعلها مسرحاً للأقلام المبدعة في فلسطين وسورية ولبنان والمهجر، وكان لها صدى بعيد في عالم الأدب العربي المعاصر قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، وكانت تعد أيضاً من كبرى المجالات وتقارن بمجلة "الأخلاق" في الولايات المتحدة، و"المقتطف والهلال" في مصر.

وبعد إعلان الدستور عام 1908، قررت الحكومة العثمانية إنشاء مجلس مختلط نصفه من العثمانيين الأرثوذكس في فلسطين والأردن، والنصف الآخر من الكليروس اليوناني الفلسطيني لإدارة شؤون الطائفة العربية الأرثوذكسية والإشراف على الأوقاف الأرثوذكسية في فلسطين. وقد اختارت الطائفة الأرثوذكسية خليل بيدس لمكانته العلمية والثقافية، ممثلاً لها في مقر البطريركية بالقدس، فاستقال من التعليم وانتقل إلى القدس.

وخلال إقامته في القدس شارك في الحركات القومية ونضالها ضد الحكم التركي، وكتب عدة مقالات تندد بالحكم التركي، وطالب فيها الأتراك بإنصاف العرب ومنحهم حقوقهم. وبعد الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك عام 1916، واحتلال

البريطانيين لفلسطين عام 1918، اكتشف بيدس نواياهم البغيضة بعد تنكروهم للحقوق العربية، مما دفعه إلى الانخراط في العمل الوطني والسياسي ضد الانتداب البريطاني، ودعا إلى العصيان على الحكومة المنتدبة، وعدم التعاون معها، لعمليها المكشوف على تهويد فلسطين. مما عرضه للاعتقال بعد أن شارك في احتفال النبي موسى بالقدس يوم 4 نيسان 1920، حيث حدثت اضطرابات، واتهم بأنه كان أحد المحرضين على الثورة.

بعد الافراج عنه، عرض عليه المسؤولون البريطانيون العمل في مديرية المعارف العامة، ولكنه رفض التعاون مع المستعمر، قائلاً: "أنا لا أباع، كما لا تباع نفسي وقلبي". وعاد إلى مزاولة مهنة الصحافة والتعليم، فعين معلماً للغة العربية في مدرسة المطران الانجليزية في القدس، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد عام 1945. عاش بيدس في (البقعة الفوقا) بالقدس حتى عام النكبة، وقد رفض الخروج من بيته، ولكنه حينما رأى المنظمات اليهودية المسلحة تتعمد القتل والسلب، رحل عن داره طلباً للسلامة والأمان، تاركاً خلفه كل تراثه الأدبي والثقافي في مكتبة عامرة بالكتب والمؤلفات، ليتم نهبها ووضعها في مكتبة الجامعة العبرية في القدس. أخذ طريق البرية والوادي إلى سلوان، وهو يمشي عدة كيلومترات وحده في أرض وعرة شائكة، وقد أغمي عليه وهو في طريقه، لكن سرعان ما اكتشف أهل سلوان هوية ذلك الشيخ، فاعتنوا به، وبعد أن عاد إلى وعيه دبوا أمر انتقاله إلى عمان، فبلغها منهوك القوى، وبعد أيام توجه إلى بيروت ملتحقاً بأولاده. وفي التاسع من شباط/ فبراير عام 1949 توفي خليل بيدس عن عمر ناهز الخامسة والسبعون عاماً، ودفن في بيروت.

تعد ثورة القدس 1920 أولى الثورات ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية، بعد أن ضاقت الجماهير العربية الفلسطينية من السياسة البريطانية التي ما انفك زعمائها عن التصريح بأن هدفهم تنفيذ وعد بلفور واقامة الوطن اليهودي. ففي

موسم النبي موسى انفجرت الجماهير غضباً بعد أن اعتدت جماعات من الحركة الصهيونية على المحتقلين بتمزيق العلم العربي واهانته، وإطلاق النار على النساء والأطفال، فدافع الفلسطينيون عن أنفسهم.

لم يكتفي الكاتب خليل بيدس في كتابه بالحديث عن تجربته في السجن، بل تحدث أيضاً عن وصف أحوال السجن، وحال السجناء فيها، ورؤيته لجعل السجون مدرسة تهييية اصلاحية. ولا يكتمل مشهد كتاب "حديث السجون" دون رسم الخلفية التاريخية - السياسية لوضع هذا الكتاب، لذا كتبنا دراسة موسعة حول ثورة القدس 1920 ونعتقد أنها المرة الأولى التي يكتب فيها عن هذه الثورة في دراسة موسعة متكاملة، حتى نضع القارئ في الظروف والملابسات التي دفعت الكاتب خليل بيدس لوضع هذا الكتاب، كما نسجل مرحلة من مراحل النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية.

الله ولي التوفيق

غزة - النصيرات: مايو/ أيار 2022

القسم الأول
نص الكتاب

كتاب / حديث السجون

خليل بيدس

فرغنا من الجزء الماضي من المجلة (يقصد مجلة النفائس) وإذا بما لم يكن في الحسبان، فقضي علينا بالانقطاع عن العمل بضعة أشهر متوالية لم يمر علينا مثلها في شدة الوطأة والذعر. وقد علم القراء بتفصيل ما حدث مما لا نود إعادته كله، ولكننا أحببنا أن نسوق إلى القراء شيئاً من هذا الحديث ليبقى في هذه المجلة أثراً باقياً وهي أحق من غيرها من الصحف بحفظه تاريخاً لما وقع لصاحبها.

فقد كان اليوم الرابع من نيسان يوم قدوم مكعب الخليل إلى القدس للاحتفال بعيد النبي موسى وهو العيد التاريخي الكبير الذي يحتفل به المسلمون في فلسطين عامة ويشاركهم فيه المسيحيون، وخصوصاً في هذه السنين الأخيرة التي تجلت فيها روح الوطنية وزالت عوامل التفريق بين المذاهب.

ووجدنا مع من وجد في ساحة باب الخليل في القدس حيث كانت الألوف المؤلفة من أهل الخليل ونابلس والقدس، وكانت الجماهير في أحسن مظاهر السرور والبهجة تسير وراء أعلامها وتهزج بأهازيجها المعتادة، وقد امتلأت السطوح والشرفات والطرق بالنساء والأولاد والشيوخ من جميع الطبقات والمذاهب. كانت تلك الساحة العظيمة تعج عجباً بالخلائق ولم يكن فيها إلا نفر قليل من رجال الشرطة والدرك.

وكانت جمعية النادي العربي قد دعت القوم لتناول المرطبات (ومركز الجمعية في تلك الساحة) فلبت الجموع الدعوة ووقف سيرها. وكانت الجمعية قد دعتنا للخطابة وألحت علينا فلم نر مسوغاً للامتناع بل رأينا من البهجة العامة ما يبعثنا عليها، فوعدنا وصعدنا إلى شرفة النادي وأشرفنا من هناك على تلك الألوف من الجماهير التي كانت تموج بها الساحة موجاً.

وكان رئيس البلدية الشهم الوطني الكبير موسى كاظم باشا الحسيني واقفاً على شرفة البلدية يحيي تلك الجماهير ثم اندفع يخطب فيها مرحباً ومهنئاً ويتلوا عليها من نصائحه المشهورة، والجماهير تقابل كل كلمة من كلماته بالهتاف والدعاء. ولما فرغ عقباه نحن بالكلام ففهننا بخطاب ترحيبي استطردهنا الكلام فيه إلى تاريخ العيد وتهنئة الأمة به وحثها على التضامن والاتحاد في خدمة الوطن، إلى غير ذلك من الكلام الذي يوافق المقام. وتقدم بعدنا صديقنا الفاضل الوجيه عبد الفتاح أفندي درويش أحد شيوخ عشيرة بني حسن وتكلم في الموضوع نفسه. وتلاه الحاج أمين الحسيني فأظهر صورة الملك فيصل ودعا الجماهير إلى تحيتها. وكان رصيفنا عارف أفندي العارف قبل وصول الجماهير إلى موقفها في ساحة باب الخليل قد استقبلها في أول الساحة بخطاب حماسي ترحابي لم يخرج عن المألوف في مثل هذه المواسم والأحوال.

وسارت الجماهير بعد الخطب جهة جمعية المنتدى الأدبي الواقع منزلها في طريق مأمّن الله لأن الجمعية كانت قد دعتها أيضاً لتناول المرطبات. ولكن الجماهير ما كادت تقطع من طريقها نحو مئة وعشرين خطوة حتى أرجعها رجال الدرك لسبب لا يزال مجهولاً حتى الآن، ولا يخفى ما حصل وقتئذ من الازدحام والاضطراب في رجوع تلك الجماهير لأن بعضها كان راجعاً والبعض الآخر ذاهباً، فكانت أشبه بالبحر في شدة اضطرابه.

ولما وصلت إلى ساحة باب الخليل حيث كانت أولاً - ولم تكن تعرف إلى أين يريد أن يقودها رجال الدرك - سار فريق كبير منها في طريق يافا، فعاد رجال الدرك وأرجعوه. ومعلوم أن طريق يافا وطريق مأمّن الله طريقان رحبتان تؤديان إلى باب العمود ومنه إلى الحرم الشريف، حيث أعد طعام الغداء لكل تلك الجماهير على نفقة الرجل الكريم شحادة أفندي خميس. وسار رجال الدرك بعد ذلك بتلك الجماهير في طريق السوق وهي طريق ضيقة لم نعلم حتى الآن السر من سوق تلك الألوف في مثل هذه الطريق مع وجود ما هو أرحب منها وأبعد عن مواطن الازدحام.

وكان بضع مئات من اليهود والصهيونيين تسير مع تلك الجماهير بعضهم للفرجة وبعضهم لغايات أخرى لم يلبث الأمر أن كشفها. وكنا قد نبهنا خاطر الحكومة في المظاهرات الوطنية السابقة إلى منع اليهود من الاحتكاك بالمظاهرات الوطنية خوفاً من سوء العاقبة، وقلنا لها رسمياً أن الوطنيين لا يتداخلون في المظاهرات اليهودية، وأما اليهود فلا يدعون مظاهرة من مظاهراتنا إلا تصدوا لها وتدخلوا فيها، ولاريب أنهم بتغلغلهم بين صفوف المتظاهرين وبما يبدو عليهم أكثر الأحيان من علامات الازدراء والتهكم إنما يقصدون التحرش بنا كأنهم يدعوننا إلى النزال بأفصح مقال. وكانت الحكومة تعدنا المرة بعد المرة بمنع مثل ذلك وتهتم للأمر، إلى أن كان ذلك الاحتفال، وكان من اليهود حول تلك الجماهير وبينها نحو الأربعمئة بشهادة مدير البوليس نفسه.

وما وصلت الجماهير إلى باب الخليل حتى وقعت الفتنة ونشب القتال بين العرب واليهود، وكان السبب اليهود أنفسهم بما أظهره بعضهم في تلك الجهة من الصلف والازدراء، وما هي إلا لحظة حتى انتشر الذعر في المدينة كلها ووقع ما لم يكن في الحسبان. فأرسلت الحكومة قوة عسكرية لضبط الحالة وأقفلت أبواب المدينة وبنث رجال الدرك في كل مكان، وأعلنت الأحكام العرفية، وأقامت المدافع الرشاشة في جميع الساحات ومعاطف الطرق. واستمر هذا الاضطراب يومين آخرين ثم استتب الأمن وعادت السكينة إلى مجراها، وقد صرع وجرح في هذه الفتنة بضع عشرات من الفريقين، وأحرقت بعض المنازل ونهبت بعض المخازن.

وكانت الحكومة في أصيل يوم الحادثة قد دعتنا وبعض الأخوان وهم السادة عبد الفتاح درويش وابن عمه سعيد، وعارف العارف، وكامل البديري، وحسن أبو السعود، ثم صدر أمرها بتوقيفنا، فأخذنا في منتصف الليل إلى السجن في صحبة أربعة من ضباط الانكليز، ولما كان الصباح التالي جاء حضرة مدير البوليس الكابتن "هوس" وأخذنا في سيارته إلى دار الحكومة حيث لبثنا ثلاثة أيام "ضيوفاً" على

الحكومة. وفي اليوم الرابع (7 نيسان) صدر أمر المدير العام الجنرال "بولز" بالإفراج عنا فخرجنا، ولكن لم يمض على ذلك إلا أسبوعان حتى عادت الحكومة فاستدعتنا للمحاكمة، وكان قد تألف وقتئذ ديوان عرفي قوامه كل من حضرات الماجور "ستاننتفور ثكلي"، والكابتن "بيكر"، والفتانت "بيري"، فأخذ في محاكمتنا بناء على التهم الموجهة إلينا من قبل المدعي العمومي الكابتن "كويكلي".

اتهمنا حضرته بالمواد 57 و62 و66 من قانون الجزاء العثماني لأنه ظننا محرضين على الفتنة وزعماء للحركة، وكنا سبعة وهم كاتب هذه السطور، والسادة عبد الفتاح درويش، وكامل البديري، وحسن أبو السعود، وعبد اللطيف الحسيني، والحاج أمين الحسيني، وعارف العارف، غير أن الأخيرين كانا في دمشق سافر الأول منهما إليها في يوم الحادثة، والأخر في يوم صدور أمر الحكومة بمحاكمتنا.

وقد بوشر في محاكمتنا في اليوم العشرين من شهر نيسان، فكنا نأتي إلى دار الحكومة كل يوم صباحاً وبعد الظهر ونعود مساء إلى السجن حيث أعدت لنا غرفة خاصة جهزت بالأسرة، وسمح لنا بالأكل على نفقتنا، وكانت شردمة من الجنود بسلاحها الكامل تخفرونا في زهابنا وإيابنا.

وسمح لنا بإقامة محام واحد يدافع عن قضيتنا وهو السيد حسن البديري، ثم سمح بمحام آخر يساعده في الكتابة فقط. وكان فريق من المحامين الوطنيين الأفاضل نخص منهم بالذكر السادة جميل بك الحسيني (القدس)، وراغب الإمام (يافا)، والاستاذ سليمان التاجي الفاروقي (الرملة)، وإبراهيم كمال (القدس)، قد هرعوا للدفاع عنا فلم يسمح لهم رئيس الديوان العرفي بذلك، ولكنهم اطلعوا على لائحة الدفاع وأقروها.

لبننا في المحاكمة أسبوعاً وشهد لنا وعلينا جمهور كبير بعضهم من موظفي الإنكليز، والبعض الآخر من الصهيونيين، والباقون من الوطنيين، نخص بالذكر من الوطنيين سعادة موسى كاظم باشا الحسيني، ومن الإنكليز الكابتن ودي وكيل سيادة

مطران الإنكليز ورئيس الكلية الإنكليزية في القدس، والمستر رينولدز رئيس مدرسة القديس جرجس الإنكليزية المشهورة في القدس وفي فلسطين كلها. وكانت شهادات الإنكليز والوطنيين كلها لنا، أما شهادات الصهيونيين فكانت بالطبع ضدنا، فقد شهدوا علينا بأننا حرصنا القوم على الفتنة وكنا زعماءها ومدبريها وغير ذلك مما لا يصعب صدوره عن أمثالهم.

نحن لا نستغرب هذه الشهادات ولكننا استغربنا قبول المحكمة بها، وكنا نود لو حكمت بدون أن تسمع هي ونسمع نحن كلام هؤلاء الشهود، وهم لم يشهدوا بما شهدوا إلا بعد أن أقسموا الإيمان المغلظة على ما يقولون وقبلوا التوراة. وإلى القارئ مثلاً واحداً على صدق هؤلاء الشهود، قال أحدهم: سمعت خليل بيدس يقول أيها الناس حافظوا على هذه المدينة المقدسة لأن فيها قبر المسيح وقبر محمد فهل يصدق أحد من الناس أننا نقول مثل هذا القول ولو كنا في أشد حالات الاضطراب العقلي؟؟. والذي أدهشنا بنوع خاص أن الشهود سمعوا خطبنا باللغة العربية وأدوها أمام المحكمة باللغة الإنكليزية، ولما طلبنا أن يعيدوا كلامنا أو بعضه بالعربية أبوا وأبت المحكمة علينا ذلك. اعترضنا على الشهود وقلنا أنهم أجنب لا يفهمون لغتنا وخصوصاً اللغة الفصحى منها التي تليت بها الخطب، وأظهرنا استعداداً لإقامة الدليل على ذلك فلم يجب طلبنا فسكتنا.

ولما فرغت المحكمة من سماع الشهود أذنت لكاتب هذه السطور بأن يدافع عن نفسه فنهضنا وفهنا بما يأتي، وكان المحامي المأذون بالكتابة يكتب كلامنا كلمة كلمة، ويترجم جملة جملة للمحكمة، وهذا ما استطعنا أن نلخصه للقراء نقلاً عما كتبه حضرة المحامي: أنا يا حضرات أعضاء هذا الديوان الكريم رجل غريب في هذه المدينة، مقيم فيها منذ عشر سنوات فقط قضيتها في المدارس والصحافة ولا أزال إلى الآن أتعاظي التدريس في بعض المدارس الإنكليزية، وأنشر مجلتي (النفائس) وهي خالية من المسائل السياسية إلا في بعض المواضيع الهامة المفيدة، وقد تعاظيت على

أثر الاحتلال مكاتبه بعض الصحف كالمقطم وفلسطين والكوكب في مصر ومرآة الغرب في نيويورك، وكانت الحكومة تطلع على أكثر مقالاتي ورسائلي بحيث أصبحت خطتي معروفة وواضحة لديها كل الوضوح. لم أشتغل كل هذه المدة في السياسة ولم أنتسب إلى جمعية سياسية، وقد دعيت مراراً لأكون عضواً في بعض الجمعيات فرفضت ليس لأنني أرى خطراً من ذلك بل لأن أوقاتي كلها مشغولة وليس لي فراغ البتة لكثرة ما علي من الواجبات الأخرى، وإذا وجدت بعض الأحيان في جمعية من الجمعيات فلا يكون حضوري فيها إلا كضيف، أو أكون مدعواً لإحدى الحفلات، أو مدعواً للخطابة في بعض المواضيع الأدبية أو الوطنية، وما على المحكمة الموقرة إذا أرادت أن تتحقق صدق هذا الكلام إلا أن تسأل أي جمعية شاءت أو تطلع على سجلات كل جمعية أو تسأل الحكومة المحلية نفسها.

وقد كان وجودي في حفلة موكب الخليل التي نحن في صددنا اتفاقاً، ولم أعلم بمجيء هذا الموكب في ذلك النهار إلا في أول ساحة باب الخليل، وكنت قد أتيت بزوجتي وأولادي في صباح ذلك النهار لحضور الصلاة في الكنيسة وشراء بعض أغراض بعد ذلك لأولادي. وما كدتُ أصل أول ساحة باب الخليل حتى التقيت بالموكب واتفق أن رأني هنا بعض أعضاء الجمعيات الوطنية من أصدقائي، فطلبوا مني أن أتلو خطبة على الجمهور وألحوا في ذلك وأخذ بعضهم (عائلتي) إلى إحدى شرفات المجلس البلدي وسرت أنا مع الباقيين إلى دار جمعية النادي العربي.

وقد جرى أن انتدبتني الجمعيات في عدة وقائع وحوادث وحفلات للخطابة، ولم أكن في كلها إلا ملبياً، فلبيت طلب الإخوان هذه المرة أيضاً غير حاسب لشيء حساباً ككل مرة. وقد خطبت في عدة حفلات في عيد النبي موسى في السنين السابقة، وخطبت في كل من المظاهرتين الأولى والثانية اللتين أقامتهما الجمعيات والأمة منذ شهر ونيف، وأنا أعتقد أن مشاركة الأمة في أعيادها وأفراحها فرض من فروض الوطنية، وليس في القوانين ما يمنع الخطابة لا في موضوع هذا العيد ولا في

المظاهرات السلمية ولا في الجمعيات والحفلات. وقد انقضى ذلك العهد الذي كانت الحكومة تحظر فيه الخطابة وتكتم الأفواه وتعاقب الخطباء والمتكلمين وتعاملهم معاملة المجرمين.

خطبت، وكان كلامي ترحيباً بالقوم وتهنئة بالعيد والحث على الاتحاد والتضامن ليس إلا، لم أذكر الصهيونية في كلامي، ليس لأنني أخشى ذكر الصهيونية والجهر بخطرها وضررها، بل لأن الموضوع الآن هو غير موضوع الصهيونية ولكل مقام مقال. وقد خطبت من شرفة النادي العربي وكانت الجماهير واقفة في الساحة تحت تلك الشرفة والكل في أحسن مظاهر البهجة والسرور.

ولما فرغت من خطابي تقدم صديقي الشيخ عبد الفتاح درويش وخطب في الموضوع نفسه، وقد خطب غيرنا أيضاً. وبعد الخطب جيء بصورة الأمير فيصل فرفعها الحاج أمين الحسيني بيديه وهو واقف على الشرفة فرأتها الجماهير وهتفت لصاحبها هتافاً طويلاً وصفقت لها تصفيقاً حاداً متواصلًا مدة بضع دقائق. ثم سارت الجماهير في طريق مأمن الله لتحيي جمعية المنتدى الأدبي وتواصل سيرها من هناك إلى جهة باب العمود كما جرى مثل ذلك في السنين الماضية، غير أن رجال الدرك قد أرجعوها وساروا بها في طريق السوق وهي طريق ضيقة جداً لا تصلح لسير مثل تلك الجماهير فيها، والمسؤول عن هذه الحركة بلا شك هو محمد الحجازي ضابط الجندرية لأنه كان يقود الموكب.

لم يبد على الجماهير شيء يدل على الاضطراب والتهيج كل مدة سماعها الخطب، وإلا لبدأت عملها هناك من أقرب الناس إليها من اليهود وكانوا مئات في تلك الجهة، وأما ما كان يظهر منها من الهتاف والتهليل فهو علامات سرور وفرح بيديها كل جمهور في مثل هذه الأحوال، سمع خطباً أو لم يسمع، وهذا طبيعي لا يحتاج إلى برهان. وقد شاهدتم يا سادتي كما شاهدت الحكومة أمثال ذلك وأكثر من ذلك بكثير

يوم خرج موكب القدس للاحتفال بعيد النبي موسى هذا العام وفي مثل هذه الحفلات من السنين الماضية وفي المظاهرات الأخرى.

لم يكن الشعب متهيئاً للاضطراب ولا مستعداً لشيء مما حدث، وأما ما كان في أيدي البعض من المحتقلين من العصي والسيوف فتلك عادة قديمة ترافق هذا الشعب في كل حفلاته ومهرجاناته كهذا المهرجان، وهم يستخدمون هذه السيوف للعب بها كلعبة السيف والترس وغيرها من اللعب المعروفة. وقد سمحت بحملها حكومة الخليل يوم خروج الموكب منها، كما سمحت حكومة القدس يوم خروج موكبها للاحتفال بالعيد.

لا عجب إذا ظهر الاضطراب فجأة، فتلك عادة أيضاً من عادات الجماهير في المواسم والأفراح العمومية سواء كانت اسلامية أو مسيحية، فقد يحدث الاضطراب وينشب القتال لسبب طفيف جداً، كما لو سار علم قبل علم أو وقف جمهور من فئة معلومة من البلاد في غير الجهة التي جرت العادة أن يقف فيها. وقد تسيل الدماء غزيرة في مثل هذه الحوادث ولمثل هذه الأسباب الطفيفة إذا لم تتداركها القوة العسكرية بالسلاح، وقد جرت أمثال هذه الحوادث في أوقات مختلفة بين أهالي الخليل وأهالي القدس، وبينهم وبين أهالي سلوان، وبينهم وبين السواحة، وكما كاد يحدث مثل ذلك بين مواكب الخليل والقدس ونابلس هذه السنة نفسها يوم التقت المواكب بعضها ببعض في البقعة بالقرب من المحطة، كما أشار إلى ذلك صريحاً رجال الشرطة والدرك في تقاريرهم التي سمعنا بعضها هنا.

ولذلك فقد اعتادت حكومات هذه البلاد منذ مئات من السنين أن ترسل لكل مهرجان سواء كان اسلامياً أو مسيحياً قوة كبيرة من الجند المنظم لحفظ الحالة، حتى أن مثل هذه القوة كانت ترسل إلى الكنائس المسيحية أيضاً في كل الحفلات الدينية في المواسم بما لا يقل عن طابور كامل غير قوة البوليس والجندرية، ولكن بالرغم عن وجود كل هذه القوة كان يحدث الاضطراب في أكثر المهرجانات. وأذكر أن متصرفي

القدس كانوا عند نهاية كل عيد وخصوصاً أعياد النبي موسى والفصح في القدس، وميلاد المسيح في بيت لحم يبرقون في الحال إلى الأستانة بأن العيد قد تم بسلام، وكان المتصرف يتلقى من الباب العالي إذا انقضى العيد بسلام شكراً أو نيشاناً أو غير ذلك من التعطفات.

وقد كان للفتنة التي نحن في صدها سبب ظاهر وهو كاف لإحداث هذه الفتنة، هو تحرش اليهود بالمحتقلين، وهذا التحرش عمدي يقصدون به ولا شك إثارة الحرب القومية بين القومين لغايات لا يعلمها إلا الله، وقد ظهر مثل هذا التحرش في أوقات وأحوال كثيرة. فقد ظهر مثله في المظاهرة الأولى ورفع نواب الأمة الأمر للحكومة، ثم ظهر مثله أيضاً في المظاهرة الثانية وعرفت الحكومة بذلك. فكان الصهيونيون يندسون بين جماهير المتظاهرين وفيهم الرجال والنساء ويبدون علامات الازدراء والتهمك، وقد عزفوا بالمرش الصهيوني على مسمع من المتظاهرين، ونشروا الراية الصهيونية، وأوعزوا إلى أصحاب المخازن بعدم اقبالها في المظاهرة الأولى التي حدثت نهار الجمعة فلم يقل التجار مخازنهم حتى الساعة الخامسة مساء وعادتهم أن يقلوها بين الساعة الثانية والثالثة، ومعلوم أن تلك المظاهرات قد كثرت فيها الخطب الحماسية الموجهة كلها ضد الصهيونية ومع ذلك لم يحدث والحمد لله ما يكدر. بينا نحن لا نتداخل في مظاهراتهم التي يقيمونها من وقت لآخر ويخطبون فيها ويحمسون قدر ما يشاءون. لا يتعرض لهم الوطنيون بشيء ولا يتداخلون في شيء ولا يتقدم من الوطنيين أحد للشهادة عليهم بشيء.

ليس للخطب علاقة أو شبه علاقة بكل ما حدث مهما اجتهد الصهيونيون في وصفها وتكييفها على ما يوافق هواهم، وإنما السبب الحقيقي للفتنة هو تغلغل اليهود بكثرة بين جماهير المحتقلين، وتعرض رجل يهودي لهم وهو بئتاب العسكر الإنكليزي، ورجل يهودي آخر عرفه الناس الذين كانوا على مقربة منه، ولما كانت الحرب تضطرم من شرارة والشر العظيم أوله كلمة فقد حدث ما حدث، ولم يكن وقتئذ في

ساحة باب الخليل من القوى العسكرية ما يمنع هذا الشر أو يحصره في مكان واحد، وقد زاد الشر تفاقماً بعض الصهيونيين الذين ظهروا بالأثواب العسكرية الإنكليزية وأخذوا يطلقون العيارات النارية ويستخدمون ما كان لديهم من أنواع السلاح، ولم يكن في أيدي الجمهور الوطني من السلاح إلا الحجارة والعصي والوقائع تؤيد ذلك.

إن الشهود اليهود قد شهدوا على افتراء وظهر للمحكمة التناقض العظيم في كلامهم. وحسبي برهاناً على سقوط شهادتهم أن أحدهم ادعى أنني جعلت قبر محمد في القدس ... مع أن كل إنسان في هذه البلاد ولو كان طفلاً صغيراً يعرف أن قبر محمد هو في المدينة في الحجاز وليس في القدس في فلسطين. وادعى آخر من هؤلاء الشهود أنني قلت للجماهير أنتم الآن مجتمعون فاغتموا هذه الفرصة وباشروا العمل ... ولكنه لم يبرهن للمحكمة لماذا لم يباشروا العمل هذا بحال فراغي من الخطاب، بل انتظروا حتى فرغوا من تناول المرطبات، وسمعوا بقية الخطب وذهبوا بعد ذلك ليتناولوا المرطبات في جمعية المنتدى الأدبي، ثم عادوا من هناك، وانسلخ فريق منهم في طريق يافا، ثم عادوا منها إلى باب الخليل، ولم تبتدئ الحادثة إلا على باب صيدلية الخواجا خريستاكي اليوناني وذلك للسبب الذي أشرت إليه.

لا أظن العقل يقبل شهادات ملفقة مثل هذه على رجل يخطب من شرفة عالية على جمهور كبير ويضع نفسه في ذلك المقام إلا أن يكون مجنوناً جنوناً مطبقاً يجب إرساله إلى البيمارستان لا إلى السجن، وأنا والحمد لله لا أزال بعقلي. وفضلاً عن كل هذا فإن هؤلاء الشهود كانوا حسب قولهم واقفين على مسافة نحو ثلاثين متراً أو أكثر، وبينهم ساحة كبيرة كانت تعج عجيباً بألوف الخلائق التي كان ضجيجها يصم الأذنان، وكان يستحيل سماع كلامي على مدى أكثر من نصف تلك المسافة، ومع هذا فقد شهدوا بأنهم سمعوا كلامي كلمة كلمة ووعوه .. ولكنهم - وهنا محل العجب الشديد - لا يقدر أن يعيدوا شيئاً منه باللغة العربية.

إن الجمهور لم يكن من غايته الشر والشاهد على ذلك وجود المئات من النساء والأولاد والشيخوخ في تلك الحفلة، ولو كان في النية إثارة الاضطراب لكان الناس انتظروا رجوع إخوانهم من زيارة النبي موسى، ولكان وجد جمهور غفير من القرى المجاورة، ولكانت الأسلحة غير العصي والحجارة وتلك السيوف القليلة التي لا يمكن استخدامها إلا للعب، ومعلوم أن المظاهرات السابقة اجتمعت فيها الجماهير بما لا يحصى واشترك فيها المسلم والمسيحي حتى بلغ عدد المتظاهرين العشرين ألفاً وأكثر، فلو كان الشر ضاللتنا لظهر ذلك الشر وقتئذ.

وقد ظهر من نتائج التحقيق أن اليهود كانوا يعدون المعدات ويتأهبون سراً للقتال بدليل وجود الأسلحة والقذائف بكثرة عندهم مما ضببت بعضه الحكومة، وعرفت أن القوم كانوا ينظمون أمورهم ويتأهبون بطريقة تدريجية ويرسمون الخطة كما يرسمها ويعدها رجال الحرب، وقد جاءهم - كما ثبت للمحكمة - صناديق كثيرة من أميركا ملأى بالذخائر الحربية وكان مكتوباً عليها أنها "برسم الاعاشة"، وقد ثبت أيضاً توزيع الأسلحة عليهم من قبل رجال الجمعية الصهيونية قبل الحادثة بيوم أو يومين، وكثرت مخاطباتهم الرمزية بالأعلام من فوق سطوح بعض المنازل وغير ذلك، وكانوا ينتظرون الفرصة الملائمة ليفاجئوا الوطنيين بالشر، ويظهروا في الوقت نفسه أن الوطنيين هم البادئون، غير أن الحكومة لم تجد في بيوت الوطنيين أسلحة ولا ثبت عليهم أقل تأهب للقتال.

لم تكن المسألة مقصودة أيها السادة لأنها لو كانت كذلك لاشتركت فيها على الأقل القرى التي يقطنها اليهود بين جماهير أكثر منهم كعرطوف وكولونية والخليل وخذلة وأبو شوشة وكفر ورية وبيت عريف وسواها، فماذا يكون قد حل في تلك الجهات وأمثالها لو كانت المسألة مقصودة؟، ومع هذا فرغماً عما يظهره الصهيوونيون من التحامل على الوطنيين، ورغماً عما تنتشره جرائدهم من التهديد والوعيد، ورغماً عما

يصفون به الشعب من الهمجية فقد حافظ الوطنيون على جيرانهم كل المحافظة ولم يحدث سوء البتة ولا في قرية من تلك القرى.

وقد ثبت أن اليهود شرعوا يتحرشون بالوطنيين على إثر المظاهرات السابقة، كما ظهر ذلك من القضايا التي حكمت فيها المحاكم كتعدي بعضهم على ابن أحد أشرف القدس، وتعليهم على جنازة اسلامية، وعلى رجال البوليس الوطني وغير ذلك كثير، فضلاً عما كانت تنشره جرائدهم من حين إلى آخر من التهديد بطرد العرب من فلسطين أو الاستيلاء عليهم وإذلال نفوسهم.

لا قبل لي بوصف الحادثة كما جرت في 4 نيسان، ولا وصف ما حدث بعد ذلك، لأنني لم أر شيئاً ولا أريد أن أصف شيئاً لم تره عيني، وإنما أقول وقولي حق أنني بعد أن رأيت الجماهير قد سارت في طريق مأمّن الله نزلت من دار النادي العربي إلى مخزن الخواجا انطون نيكوديموس حيث اجتمعت (بعائلي) وأخذنا في شراء ما يلزمنا، وبقينا في المخزن إلى أن سمعنا بحدوث القتال، وإذا برجلين من اليهود قد دخلا علينا والذعر أخذ منهما كل مأخذه فأويناهما وأقلنا علينا جميعاً المخزن، ولبثنا هكذا إلى أن هدأت الحالة في ساحة باب الخليل، فأخذت (عائلي) وعدت بها إلى منزلنا دون أن أعلم شيئاً من التفاصيل. ولكنني علمت الساعة الرابعة بعد الظهر أن الحاكم يدعوني لمقابلته، فجنّت إلى دار الحكومة حالاً، والباقي تعرفونه حضراتكم.

وقد اتهمت بأني من الزعماء ومدبري الحركة، مع أن للزعامة شروطاً لا ينطبق أحدها علي لأنني لست من الأغنياء أو الملاكين أو من سكان هذه المدينة، ولست من مدبري الحركة، إذ لا يمكن أن تؤيد واقعة الحال هذه الإدارة أو القيادة، وليس لي اطلاع على شيء من مخابرات أو مكاتبات سياسية تتعلق بهذا الموضوع، وليس مجرد الخطابة دليلاً على الزعامة أو القيادة، فالخطابة عندنا شيء والزعامة شيء آخر، وليس بيني وبين أهل الخليل ونابلس إلا صلة الأدب فقط، وحياتي السابقة أكبر شاهد على ما قلت. وإذا كان للحركة زعماء وقواد سياسيون فهل يقف هؤلاء الزعماء

على شرفة عالية ليراهم الكل ويسمع تحريضاتهم الكل، وهناك جمهور كبير من رجال الدرك والبوليس والخصوم السياسيين؟، ألا يكون من الحكمة أن يدبر هؤلاء الزعماء كل حركة في السر والخفاء دون أن يطلع على تدابيرهم أحد؟.

وخطابي الذي ألقيته لم يكن إلا ترحيباً محضاً وتهنئة وطنية محضة في عيد وطني خطب في مثله السنة الماضية الحاكم نفسه، كما أنه خطب في عدة حفلات وطنية مختلفة. ولم يكن هذا الاجتماع سياسياً بوجه من الوجوه، وأنا لا أعد كلامي فيه ذنباً ولا شبه ذنب، ولذلك تروني واقفاً أمامكم عالي الجبهة نقي الذمة لا أرهب أحداً، ولا أخشى سوء الاعتقادي بعدل المحكمة وضميرها الحي.

هذه هي خلاصة دفاعي يا حضرة الرئيس ويا حضرات الأعضاء، ولكم رأيكم الأعلى موقفاً إلى الصواب إن شاء الله.

وقام بعد أن فرغنا من الكلام. قام السيد عبد الفتاح درويش فتلا دفاعه، ثم تكلم كل من المتهمين الآخرين بما حضره، ونهض بعد ذلك حضرة المحامي السيد حسن البديري وفاه بدفاعه القانوني فقال ما خلاصته:

إن الاتهام قد طبق على المواد 57 و62 و66 من قانون الجزاء ولكن ليس فيها ما ينطبق على واقعة الحال.

فالمادة السابعة والخمسون يشترط فيها أن تجتمع طائفة من الأشرار ويفعلوا معاً إحدى المفاسد. فقولها يجتمعون ويفعلون معاً يبرئ ساحة حضرات المتهمين لأنهم لم يرتكبوا جريمة كالقتل والنهب والإغارة ولم يشهد عليهم أحد بذلك، بل الكل متفق - وخصومهم مع هذا الكل - على تبرئتهم من الاشتراك في الفتنة فعلاً. ومعلوم أن هذه المادة مبنية على المادتين 55 و56 ولا علاقة لهما بقضيتنا لأن الأولى منهما وهي الخامسة والخمسون وضعت بحق من يتطاولون على مقامات الملوك أو يهينون الدول والسفراء أو يحاولون تبديل القانون الأساسي، ولا شيء من كل ذلك في مسألتنا،

والثانية تنص على تسليح الأهالي وحضهم على القتال، وليس في قضيتنا تسليح ولا تحريض إذ لم يكن شيء من السلاح في أيدي الوطنيين فلم يكن من حاجة إلى تحريضهم ولا سلاح في أيديهم يقاتلون به.

والمادة الثانية والستون تنص على الجمعيات التي تتسلح وتتألف خصيصاً لضبط الأموال والنهب والإغارة وعمل كل ذلك بأوامر رؤسائها. فهل في قضيتنا ما يشبه ذلك؟، وهل يمكن أن يصدق عن هذا الجمهور الذي احتشد من جهات شتى أنه يؤلف جمعية كهذه غرضها إيقاف الفتنة وإيقاد نار القتال؟، وإذا كان ذلك صحيحاً فأين هي الجمعية ومن هم رؤساؤها وأعضاؤها؟.

وليس للمادة الأخيرة وهي السادسة والستون تعلق بما نسب إلى المتهمين، حتى أن ذيلها الأخير - وهو ما يمكن أن يظن قربه من حادثتنا - لا ينطبق أيضاً على التهمة، فإن من شروط الخطب المشار إليها فيه أن تكون محرضة للناس على الاعتداء بعضهم على بعض، ولم يفه أحد من المتهمين بشيء من هذا، ولا سمع من أحد منهم ما يدل على تحريض الناس على القتل والنهب وغير ذلك حتى أن خصومهم أيضاً يعترفون بذلك.

وإني أوجه انتباه حضراتكم (يريد رئيس المحكمة وأعضاءها) إلى منشور الجنرال بولز (المدير العام) الذي يقول فيه بصراحة أنه أرسل المتهمين للمحاكمة كأفراد وليس كرؤساء أو زعماء، وأنه لا يرى في كل الحادثة عملاً سياسياً. واستطرد المحامي بعد ذلك إلى تفصيل ما أجمله بكلام طويل كله حقائق ثابتة، وطلب أخيراً إطلاق سراح المتهمين.

وعقبه المدعي العام فتلا اتهامه وطلب من المحكمة معاقبة المتهمين بأشد ما لديها، ومما قاله لإثبات الجرم: إن البلاد الآن في أيدينا ونحن نديرها بمعرفتنا ولنا أن نغير ونبدل في القوانين التركية على ما نراه مناسباً وضرورياً، وإذا حدث اخلال ما

ففي امكاننا تلافيه، وليس كما ذكر خليل بيدس أن من واجب الحكومة أن تحتاط للأمر قبل وقوعه وتسوق القوى المسلحة الكافية لذلك.

ولما فرغ خرج المتهمون والمحامي والمدعي العام، واختلت المحكمة للمذاكرة. وبعد نحو نصف ساعة استدعت ثلاثة من رفاقنا وهم: السادة كامل البديري، والشيخ حسن أبو السعود، وعبد اللطيف الحسيني وأعلنت برأتهم، وأعادتنا نحن وعبد الفتاح أفندي درويش إلى السجن دون أن تبلغنا الحكم، ولبتنا أربعة أيام بعد ذلك في حالة الغموض نذهب إلى دار الحكومة ثم نعود منها إلى السجن مخفوريين في الذهاب والإياب دون أن تعلن لنا المحكمة شيئاً.

فظننا أن الحكومة ستكتفي بسوقنا على هذه الصورة بضعة أيام أخرى ثم تطلق سراحنا، غير أن ظننا لم يكن في محله، فقد صدر الحكم أخيراً وأعلنه لنا مدير البوليس الكابتن "هوس" في ساحة السجن في القدس، وهو أن المحكمة قد حكمت على كل منا بالحبس سنتين ودفع غرامة مالية قدرها عشرون جنيهاً، واعتبرت الجرم سياسياً، وصادق عليه قائد الفرقة الثالثة من الجيش.

وكانت المحكمة قبل اصدار حكمها علينا قد حكمت على واحد وعشرين صهيونياً فحكمت على زعيمهم الخواجا جابوتنسكي بالحبس خمس عشرة سنة، وعلى كل من رفاقه بثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة للجميع، وذلك لأنهم استخدموا السلاح وقادوا الجماعات للكفاح، وفعلوا غير ذلك مما لا نتعرض له. وكانت الحكومة قد نقلتهم إلى سجن عكا، ثم لم تلبث أن خفضت مدة الحكم عليهم فجعلتها سنة لجابوتنسكي وستة أشهر لكل من رفاقه.

لبتنا في سجن القدس من 20 نيسان إلى 19 أيار وكنا في غرفة خاصة جعل لنا فيها سريران، وسمح لنا بالأكل على نفقتنا، وارتداء ثيابنا الخاصة (لا أثواب السجن)، وزيارة الأهل والأصدقاء لنا، وإنارة الغرفة ليلاً، ومطالعة الجرائد والكتب التي

كانت تردنا بشرط أن يجيزها قلم المراقبة في السجن. وكان يزورنا مفتش السجن ومديره وطبيبه ومعاون مديره ويعنون براحتنا.

وكانت الأمة في القدس وجوارها قد اهتمت جد الاهتمام للأمر، فكتبت العرائض إلى اللورد اللنبي، والمدير العام في التماس الافراج عنا، واحتجت على الحكم علينا. وكان المدير العام الجنرال بولز، والكولونيل ستورس حاكم القدس، والكولونيل ولترز تيلرز معاون المدير العام يطمئنون الناس وعيالنا بالفرج القريب. وقد سعى في سبيلنا سعياً مشكوراً كل من غبطة البطريرك داميانوس، وسعادة المطران ماكنز رئيس الأسقفية الإنكليزية في الشرق، ومدامته الفاضلة، ووكيله الكابتن ودي رئيس الكلية الإنكليزية في القدس، ومدام الكولونيل ولترز تيلرز، والسيدة المحترمة المس وربرتن رئيسة الكلية الإنكليزية للبنات في القدس، والمستر رينولدز رئيس مدرسة القديس جرجس الإنكليزية في القدس، وحضرة صاحب الفضيلة السيد محمد كامل الحسيني مفتي الديار القدسية، وكل من أصحاب السعادة موسى كاظم باشا الحسيني رئيس البلدية السابق، وعارف باشا الدجاني رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس، وراغب بك الناشيبي رئيس البلدية الحالي، وجميل بك الحسيني رئيس جمعية المنتدى الأدبي، ويعقوب أفندي فراج رئيس جمعية الاخاء الارثوذكسي، والشيخ الأستاذ محمد أفندي الصالح رئيس مدرسة روضة المعارف، والياس أفندي مشبك، والسيد حسن البديري، وإبراهيم أفندي الشماس، وبولس أفندي سعيد، وداود أفندي دعدس سكرتير مطران الإنكليز في القدس.

وأخذت الصحف الوطنية تدافع عن حقوقنا - نخص بالذكر منها - جريدة القدس الشريف لصاحبها الأديب حسن أفندي صدقي الدجاني، وجريدة الكرمل لصاحبها الفاضل نجيب أفندي نصار، وجرائد سوريا بأسرها.

كان همنا في سجن القدس - في أول المدة - أن نعد الأيام ونكتب المفكرات ونتنسم الأخبار، ثم عدلنا عن حساب الأيام لأن المدة كانت طويلة جداً يستحيل علينا اتمامها، وكان كل يوم في نظرنا شهراً لا ندري كيف نقضيه. ومما زاد في سأمنا أننا حرمانا النوم، فلم يكن للكرى سبيل إلى أجبافنا إلا سويغات ننامها في أواخر الليل بعد كل جهد وعناء، وكم ليلة قضيناها أرقاً حتى الصباح ونحن نسير في غرفتنا نعد خطواتنا ثم نعدل عن ذلك بعد أن نبلغ الألف في العد.

أما الأخبار فكنا نتوق إلى ما كان منها متعلقاً بقضيتنا، فلم يكن يأتينا زائر إلا ويقول أنكما لا تلبثان أن تخرجا .. وأنه سمع ذلك من الحاكم نفسه .. وكثيراً ما كانت هذه الأخبار تصدر منا أولاً لبعض الأصدقاء، ولكنها كانت لا تلبث أن تعود إلينا كأنها منقولة عن لسان رجال الحكومة أنفسهم، وما زلنا على مثل ذلك حتى سئمنا الأخبار، وصرنا نسأل كل صديق يزورنا أن لا يطمئننا شيئاً لأننا آلينا على أنفسنا أن نقيم المدة كلها في السجن ولا نريد عفواً.

واتفق أن قريباً لنا جاء يوماً وقال: سمعت أنكما سترسلان إلى سجن عكا - إلى حيث أرسل الصهيونيون قبلكما - وقد سمعت ذلك من ثقة من رجال الحكومة. وبعد هذا بعشرة أيام جاء صديق وقال: سمعت أنه قد عفي عنكما وأنكما ستخرجان غداً. ولكن ما جاء هذا الغد حتى جاءنا مدير السجن وقال: هيئنا أنفسكما لأنكما ستخرجان بعد قليل، فتبادر إلى ذهننا لأول وهلة أن العفو قد صدر وقضي الأمر.

ولكن بعد نحو نصف ساعة عاد المدير إلينا وقال: هيا بنا فالعربات تنتظركما. فخرجنا وإذا بعربيتين تنتظراننا على باب السجن وبإزائهما أربعة جنود بسلاحهم، وكان مفتش السجن واقفاً في الباب فقال: إنكما ستسافران الآن في القطار إلى حيث صدر الأمر باعتقالكما. فاحتجنا على هذه المعاملة وقلنا: كان يجب أن نشعرونا بذلك قبل الآن بساعتين على الأقل لنتمكن من مشاهدة أهلنا وتوديعهم. قال: هكذا الأمر. قلنا: ونحن رهينا كل أمر منكم يا سيدي فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان ذلك النهار (19 أيار) موعد مجيئ عيالنا لزيارتنا فشق علينا أن يأتوا ولا يجدونا، وقد علمنا بعد ذلك أنهم جاءوا .. ثم عادوا إلى منزلهم وهم في أشد حالات الحزن والبكاء، وقضوا نهارهم والليل التالي بعده وهم حيارى في أمرهم سكارى من شدة الغم والكآبة.

ركبنا العربيتين وسرنا إلى المحطة دون أن يعلم الشعب بسفرنا إلا صديقين أحدهما بولس أفندي سعيد وكان واقفاً في باب مكتبته فأبصرنا وهب يجري وراءنا حتى بلغ المحطة وعلم بوجهتنا، وكنا قد استطلعنا ذلك من الجنود الذين كانوا يخفروننا، والآخر مصطفى أفندي حسن مختار قرية بتير وصهر رفيقنا عبد الفتاح أفندي درويش رأنا في العربيتين والخبراء من حولنا فتبعنا ولم يفارقنا حتى بلغنا عكا، وقد أقام معنا بضعة أيام قضى لنا فيها كل ما كنا في حاجة إليه.

ركبنا القطار من القدس وكانت الحكومة قد أمرت لنا بمركبة من مركبات الدرجة الثانية فيه، وكان الجنود الذين معنا على جانب عظيم من الحشمة والأدب، فأنسنا بهم وأنسوا بنا كل مدة السفر، ولما وصلنا اللد نزلنا من القطار وكانت وجهته القطر المصري، ووقفنا ننتظر قطاراً آخر وجهته حيفا. وفي أثناء هذا الانتظار بصر بنا ثلاثة من رجال البوليس الإنكليزي فتقدموا إلينا يريدون تفتيشنا فامتنعنا عليهم وقلنا لهم: إننا خارجان من سجن وذاهبان إلى سجن آخر ومعنا خبراء فبأي حق تريدون تفتيشنا؟، فلم يبالوا بكلامنا بل أصروا على التفتيش وتهددونا. فأصررنا نحن على الامتناع وقلنا لهم: إنكم لن تفتشونا وفينا رمق وإذا أبيتم إلا التفتيش فهيا بنا إلى دار الحكومة وهناك فقط تستطيعون أن تفتشونا إذا أمر الحاكم بذلك.

وإننا لفي مثل هذا الجدل وإذا بالكابتن هوس مدير بوليس القدس (وكان في جملة ركاب القطار) قد خرج فدعونه وشكونا إليه الأمر وسألناه أن يستعلم عن أسماء هؤلاء الرجال ويرفع أمرهم إلى الحكومة في القدس، فوعد وأنجز كما علمنا ذلك بعد حين، وقد أظهر كل مروءة وشمم وعاد رجال البوليس وهم يحرقون الأرم، والظاهر

أنهم كانوا مدفوعين إلى ما عملوه أو إلى ما أرادوا أن يعملوه من بعض أصدقائهم،
وكم كنا نود لو سمح لنا وقتئذ بمقابلة حاكم اللد واطلاعه على ما جرى. وبعد هذه
الحادثة جاء القطار فركبناه ونحن نلوم الخفراء لأنهم سمحوا لرجال البوليس بالتعرض
لنا وهم يعتذرون وقد شعروا بخطئهم.

وصلنا حيفا مساء وسرنا في صحبة الخفراء إلى السجن حيث قابلنا الكابتن
ستيورت مدير البوليس وأظهر كل لطف ومروءة، وما سمع الأصدقاء في حيفا بقدمونا
حتى هرعوا لمقابلتنا من كل حذب وفي مقدمتهم الوجهاء الأفاضل السادة اسكندر
كساب، وفضول ربير، وغبريل سعد، ونجيب نصار، وجمهور كبير غيرهم من الأدباء
وأهل الحمية والغيرة. ولبثنا في سجن حيفا إلى الصباح لم نذق فيه طعم الكرى، وقد
زارنا الكابتن ستيورت في تلك الليلة أربع مرات ومعه بعض الأصدقاء وفي جملتهم
شوقي أفندي سعد قومندان البوليس والجندرمة في حيفا. ولما أصبحنا جيء لنا
بالعربات فأقلتنا والخفراء الأربعة إلى المحطة ومنها أقلنا القطار إلى عكا، وقد رافقنا
في الطريق القس صالح سابا من حيفا، ومعه قس إنكليزي، وكانا متأثرين لحالتنا فلم
يتركانا حتى بلغنا السجن، وراحا هما يسعيان هنا وهناك - بدون أن نعلم - لمساعدتنا
والتخفيف عنا، غير أن تعليمات حكومة القدس كانت قد وصلت إلى حاكم عكا فلم
يبق سبيل لبذل شيء من المساعي.

وبعد أن بلغنا السجن بساعة أقبل حضرة الأريحي الفاضل محمود بك قومندان
البوليس والجندرمة ومدير السجن فقابلنا بكل بشاشة وأمر بإعداد غرفة نظيفة لنا
وتجهيزها بكل ما يلزم من الأسرة والطاولات والكراسي والنور وغير ذلك، فشكرنا له
مروءته وأخذنا من ذلك الحين نعيش في عكا.

وفي اليوم التالي زارنا حاكم عكا الكابتن "لويك" وأعطى التعليمات اللازمة
للاهتمام بنا وتوفير أسباب راحتنا وسرورنا، ثم زارنا وفد من أشرف حيفا وكبرائها وفي

جملتهم السادة فؤاد بك سعد، وأبو الخير الموقع، وإبراهيم بك الخليل واخوته، ورشيد الحاج إبراهيم، وفكتور الخياط، وغيرهم ومعهم حاكم حيفا الكولونيل ستنتون باشا وحاكم عكا، وقد سمح الحاكم وقتئذ ببضع ساعات نقضها في النزهة كل يوم خارج السجن وبعضها على شاطئ البحر، وكان ذلك أفضل ما جادوا به علينا ونحن في السجن.

وصرنا من ذلك الحين نخرج كل يوم صباحاً إلى حديقة السجن والعصر إلى البحر، وكنا نظن أن هذه النزهة ستجلب النوم إلى أجفاننا غير أن أملنا هذا لم يتحقق، وقد طار النوم من عيوننا حتى نهكت قوانا وأصابتنا حمى شديدة لازمتنا أياماً، وأظهر لنا النطاسيان الفاضلان الدكتور داود أفندي بولس والدكتور فؤاد أفندي كل عناية ولطف.

وكانت الحكومة قد أباحت للأهالي زيارتنا فكانوا يترددون علينا من حيفا وعكا وجهات القدس جماعات جماعات، وقد خفف ذلك عنا وطأة السجن وأزال من نفوسنا كل ضجر، وصار النهار قصيراً جداً بالنسبة إلى ما كنا عليه قبلاً، غير أن الليل بقي ليلاً وكان لنا جحيماً متقدماً.

ومما نذكره بالشكر والامتنان زيارة صاحب الفضيلة السيد محمد مراد مفتي حيفا إيانا وتردده علينا مع غيره من وجهاء حيفا، وتردد أفاضل عكا وأدبائها بلا انقطاع، واهتمام السيد الكبير صاحب السماحة عباس أفندي (البهاء عباس)، وسيادة المطران غريغوريوس حجار، وكل من صاحبي الفضيلة السيد عبد الله الجزار مفتي عكا، والأستاذ الشيخ أسعد أفندي الشقيري وغيرهم من الوجهاء والأصدقاء الذين لا يتسع هذا المجال لتسطير أسمائهم الكريمة، فنكتفي بتسطير آيات الشكر لحضراتهم على هذه الأريحية وهذا الفضل العظيم.

وكانت الحكومة المحلية تظهر لنا لطفها وعنايتها على الدوام، وكان الحكام يزوروننا كل أسبوع مرة ومرتين نخص بالذكر منهم سعادة الكولونيل ستنتون باشا

حاكم حيفا، والكابتن لويك حاكم عكا، والكابتن ستيفورت مدير بوليس منطقة حيفا وعكا، والملازم داي معاون حاكم عكا ونائبه، والملازم اندروس وكيله، وكل من اتصل بهم من الموظفين الوطنيين، وكان مأمورو السجن بأسرهم يعاملوننا أحسن معاملة ويتسابقون إلى توفير أسباب راحتنا، فنحن نشكر الجميع ولن ننسى هذا الأدب الجم وتلك الحمية الوطنية.

وجاءنا حاكم عكا في ذات يوم وقال: إن الحكومة قد أنزلت عنكما مدة الحكم فجعلتها ستة أشهر بدل السنيتين. فشكرناه وقلنا: إننا كنا ننتظر أن تعاملنا الحكومة بعدلها المشهور فتجعل عفوها على نسبة واحدة بيننا وبين الصهيونيين، لأن الصهيونيين وهم مجرمون جرماً حقيقياً قد جعلت مدة الحكم عليهم من خمس عشرة سنة إلى سنة للخواجابوتسكي، ومن ثلاث سنوات إلى ستة أشهر لكل من الباقين. ولما كان جرمنا في نظر الحكومة قومياً - بدليل المخبرات التي جرت بينها وبين الجمعيات الوطنية بخصوصنا - فعليها والحالة هذه أن تساوينا بالصهيونيين على الأقل وتجعل مدة الحكم علينا شهراً ونصفاً أو شهرين مراعاة للمساواة بيننا وبين خصومنا وصوناً لحقوق الأمة العربية بإزاء اليهود. ثم كررنا هذا الكلام للكولونيل ستنتون وسألناه أن يرفع عريضة احتجاج منا إلى المدير العام في هذا الشأن. فقال: ولكن الحكومة حرة في عفوها. قلنا: نعم، إلا في عفوها في مثل قضيتنا وقضية الصهيونيين. قال: ولكنكم ستخرجون جميعاً في مدة قريبة. قلنا: ولو خرجنا الآن فإن ذلك لا يبزر عمل الحكومة ونحن نحتج عليها. وعلمنا بعد ذلك أن الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس قد احتجت رسمياً على ذلك، وكتبت الصحف الوطنية كل ما يجب أن يكتب في هذا الموضوع.

وعلمنا في أواخر حزيران بقرب سفر المدير العام الجنرال "بولز" من فلسطين، وحضور السر "هربرت صموئيل" مندوباً سامياً فيها، وقرأنا في الجرائد ما صرح به فخامة المندوب وهو لم يزل في أوروبا عن السياسة التي سينتهجها في هذه البلاد. وعلمنا بعد ذلك بأن وصول المندوب سيكون في أول تموز، وأن الحكومة ستحتفل بقرءة منشور جلالة الملك جورج الخامس إلى أهالي فلسطين في القدس في 7 تموز، وفي حيفا في 8 منه، وأن المندوب سيعلم في هذين الاحتفالين الإدارة الملكية في البلاد ويعلن عفو الحكومة عن سجناء حادثة 4 نيسان.

ولما كان اليوم المنتظر (8 تموز) زارنا حاكم عكا صباحاً وقال: إنكما والصهيونيين ستسافرون الليلة القادمة إلى حيفا في قطار خاص، وهناك يقابلكم مدير البوليس ويعلن لكم إرادة الحكومة. قلنا: وهل نأخذ ثيابنا وأشياءنا؟. قال: لم يأتي نبأ بهذا الشأن، ولما كنت مزماً على الشخوص إلى حيفا في هذا النهار لحضور الاحتفال فإني سأقابل الحاكم وأستعلم منه وأخبركما مساء حين عودتي.

ولما كان المساء عاد الحاكم من حيفا وقال: أنتما حران منذ هذه الساعة، أن تسافرا إلى حيث شئتما فقد عفي عنكما وأمرت بإطلاق سراحكما، فشكرناه. ثم ذهب الحاكم إلى سجن الصهيونيين وأعلن لهم ما أعلنه لنا. فنزلوا من سجنهم وجاءوا فاجتمعوا بنا وقضينا بضع دقائق في الحديث، وكتب على إثر ذلك في بعض الجرائد العربية والعبرانية أننا زرنا الخواجا جابوتتسكي في سجنه واستغفرناه عما مضى. ولم نعلم نحن بذلك إلا بعد وصولنا إلى القدس ببضعة أيام، فكتبنا رداً في جريدة (سوريا الجنوبية)، وردا آخر في جريدة (بيت المقدس) على هذا الافتراء الشنيع. ثم قرأنا مثل هذا الكلام السخيف في جريدة (الأجيشن غازت) الإنكليزية نقلاً عن الجرائد العبرانية أو عن رسائل أحد المكاتبين "الصادقين". وقد استغبرنا استرسال أصحاب تلك الجرائد إلى مثل هذه الأكاذيب الملققة ومتاجرتها بمثل هذه السخافات الشنيعة، ولم يكن

يخطر في بالنا أن نذكر شيئاً من ذلك هنا لولا هذه الجعجة الفارغة التي اهتمت تلك الجرائد بها وقلبت فيها الحقيقة على هواها.

خرجنا من السجن مساء وبتنا ليلتنا تلك في منزل بعض الأصدقاء، وأقمنا بعد ذلك في عكا يومين، وفي حيفا يومين آخرين قضيناها في زيارة الأصدقاء والمعارف، وقد زرنا في جملة من زرنا حضرة صاحب الساحة السيد الكبير عباس أفندي ولبثنا في حضرته ساعة كانت من أحسن ساعات حياتنا، وقد رأينا من سماحته من اللطف والمؤانسة ما لن ننساه أبد الدهر.

وفي 13 تموز ركبنا القطار من حيفا إلى القدس، وعدنا فاجتمعنا بالخوارج جابوتتسكي ورفاقه فيه لأنهم كانوا مسافرين أيضاً إلى القدس مثلنا. ولما وصلنا قرية بتير رأينا جميع سكانها واقفين في المحطة ينتظرون وصولنا وبينهم عيالنا وبعض الأصدقاء من القدس وفي مقدمتهم السري الفاضل جميل بك الحسيني جاءوا خصيصاً لمقابلتنا وإشعارنا بوجوب نزولنا في بتير ليكون وصولنا إلى القدس في اليوم التالي، فنزلنا واجتمعنا بأحبابنا وكانت ساعة يعجز القلم عن وصفها.

وكان الشيخ الكريم السيد مصطفى حسن مختار بتير قد دعانا إلى منزله ودعا جميع أهل البلد معنا رجالاً ونساءً وأولاداً، وقد قضى الجميع تلك الليلة في أحسن مظاهر الطرب والسرور، ولبثنا في بتير إلى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي، ثم جاء القطار فركبناه إلى القدس ونحن نشكر أريحية السيد مصطفى وكرمه الحاتمي.

ولم نكد نصل محطة القدس حتى رأينا جماهير الوطنيين الأعزاء في انتظارنا وفي مقدمتهم حضرة صاحب السعادة السري عارف باشا الدجاني رئيس الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس، وليس لقلمنا أن يصف ساعة اللقاء هذه وما تجلى فيها من روح الوطنية الصادقة، فنكتفي بالإشارة إلى كل ذلك إشارة فقط ونحن نجهر بالشكر الحميم للجميع.

وكانت جمعية المنتدى الأدبي الكريمة قد هيأت حفلة الاستقبال وأعدت عشرات العربات لركوب تلك الجماهير، فركب الجميع ودخلنا المدينة في موكب وطني حافل، وكانت جماهير أخرى كثيرة على جانبي الطريق وفي ساحة باب الخليل، وهي في أحسن مظاهر البهجة والسرور، فحيا الله هذه الوجوه الكريمة ولا عدم الوطن أمثال هذه الوطنية الصادقة.

وكان نادي الجمعية معداً لاستقبال تلك الجماهير وقد طيف بالمرطبات على الجميع، وألقينا وقتئذ خطبة وجيزة شكرنا فيها هذه العواطف النبيلة، وتكلم غيرنا بما يناسب المقام. ثم تفرقت تلك الجماهير، وخرجنا وكلنا ألسنة ناطقة بالثناء العاطر على همة الجمعية وفضلها ووطنية أعضائها وأريحياتهم، ونخص بالذكر منهم صديقنا الأديب فخري أفندي النشاشيبي معتمد الجمعية وأحد مؤسسيها الألباء.

وبعد بضعة أيام من وصولنا دعيانا ورفيقنا عبد الفتاح أفندي لمقابلة فخامة المندوب السامي السر هربرت صموئيل في دار الإدارة العامة في جبل الزيتون، وقد رأينا من فخامته كل لطف ومجاملة وكل استعداد لخدمة البلاد والسير بها في معارج العمران، ومما قاله فخامته: إنني أفخر لأن أول عمل عملته في فلسطين هو إصدار العفو عنكم، فشكرناه، ثم خضنا عباب الحديث فيما يتعلق بفلسطين ومستقبلها وأحوالها، فرأينا من فخامة المندوب كل غيرة وصدق عزيمة على العمل لخير البلاد وإسعادها.

هذا ما أردنا الإشارة إليه من وصف الحادثة التي وقعت لنا، وقد أطلنا في الموضوع إلى ما لعله أدى إلى ملل القراء. وكنا نود أن نمسك عنان القلم عند هذا القدر، ولكننا لا نرى بداً من إجمال ما رأيناه في السجون، وما كان من نتيجة درسنا لأحوال السجناء عموماً.

أما السجون فقد وجدت منذ أول نشأتها للتأديب يعزل فيها الجاني والأثيم ليرتدع كل منهما عن جنائياته ويتوب عن مآثمه. وكانت في أول عهدها من شر ما ابتدئته فكرة الإنسان لتعذيب الإنسان، ثم أخذت ترتقي على نسبة الانتقاء الأمم وتتنوع على درجة تنوع هذه الأمم وتفاوتها في الحضارة والمدنية، فكلما تمدنت الأمة وارتقت كانت سجونها مقياساً لذلك التمدن وهذا الرقي حتى أصبحت عند بعض الأمم دوراً رحبة يجد فيها السجين كل أنواع الرفاهية والراحة، وأصبحت عند غيرها أشبه بمدارس تهذيبية وصناعية لا يدخلها السجين أو المتشرد إلا ليخرج وقد استأصل من نفسه جرثومة من جراثيم الشر والفساد التي كانت متأصلة فيه، وتعلم حرفة تقيه التشرذ وتفتح أمامه باباً للرزق، وهذا ما أردنا أن نوجه عناية حكومتنا إليه وهي في أول عهدها بهذه البلاد.

لم نكن قبل هذه الحادثة نعرف السجون أو نهتم بها، ولم يكن يخطر في بالنا أن هناك قوماً يتألمون، فكان وجودنا في السجن هذه المدة درساً مفيداً من دروس الحياة انفتحت أعيننا فيه على أمور كثيرة كنا نجهلها تمام الجهل.

وأول ما استفدناه من دروس الحياة حيال هذه الحادثة أن الإنسان لا يكفي أن يكون صادقاً في هذه الدنيا ليأمن كل خطر على نفسه، وأنه مهما كان صادقاً وأديباً وبعيداً عن الشر، ومهما شهد له ماضيه بكل ذلك فعليه أن يهرب الحكومة على الدوام ويحذر بطشها على الدوام. وإنه مهما كان بارعاً في العلم والفلسفة فعليه أن يعرف أن من العلوم أيضاً ما يسمى بالسياسة، فيجب أن يدرسها من جميع الوجوه ويعرف أن لها باطناً وظاهراً، بل عدة بواطن وعدة ظواهر قد لا يعرفها إلا الله، ومن شاب شعره وهو متبوء منصات السياسة يحل رموزها وأسرارها.

وقد استفدنا من السجن أثناء وجودنا فيه أننا ازددنا رغبة في الحياة وقوة على العمل. وكان مثلنا فيه مثل رجل كان صحيح الجسم ثم اعتل وأصبح لا هم له وهو

في هذه العلة إلا أن يسترد عافيته ليعود إلى صحته وهنائه، مع أنه لم يكن يبالي بهذه الصحة أو يعرف قيمتها قبل أن ابتلي.

فالسجن في المجتمع هو علة من العلل الوبيلة التي يجب التداوي منها ليتخلص المجموع كله، بل هو قبر للأحياء يجب الاقلاع عنه وإزالته من الوجود ليعود هؤلاء الأحياء إلى النور، إلى الهواء النقي والشمس المشرقة، إلى الحرية، إلى الحياة التي وهبتهم إياها الطبيعة وحرّمهم إياها الإنسان نفسه. إن مئات وألوفاً من البشر سجناء يقضون الحياة في هذه السجون أو القبور وهم فيها كالحشرات يتجمعون بعضهم فوق بعض ضمن تلك الجدران الضخمة المملوءة هواء فاسداً ورطوبة قتالة.

ويل للإنسان ما أظلمه وما أبرعه في اختراع كل آلة جهنمية لقتل الإنسان، وما السجن إلا إحدى تلك الآلات أو تلك الآفات ولكنه شرها جميعاً، لأنه يقتل الإنسان قتلاً بطيئاً وهو فيه كل يوم بل كل ساعة، وهو لو قتل بغيره من تلك الآلات لكان الخطب أخف والنجاة من الشقاء أسرع.

غير أن السجون قد وجدت منذ القديم فلا يمكن هدمها أو الاستغناء عنها ما دام الشر موجوداً، ولا بد لكل حاكم أن يعاقب الجاني إذا جنى ويقيم الحد على الشرير إذا أذنب، فله أن يقصيه أو يعتقله ليؤدبه ويريح الناس من شره حيناً، كالجراح الذي يقطع من أعضاء الجسم ما كان مؤلماً ليسلم سائرهما، ولكن ما يمكن أن يعمل الآن لخير المجتمع وتهذيبه والتخفيف من هذا الشر هو اصلاح هذه السجون وترتيبها والعناية بها لتخف وطأتها عن الحياة ولا تقوت الخلة المقصودة منها.

ليس القصد من السجون الانتقام والتشفي والقتل كما كانت في العصور المظلمة، وإنما القصد منها الآن التأديب، فإذا علمت ذلك علمت أن السجون يجب أن تكون في أماكن صحية، ويجب على القيمين عليها أن يعنوا بصحة السجناء - بأكلهم وشربهم ولباسهم ونومهم وسائر أحولهم، عليهم أن يتعهدوا الغرف التي يقضي فيها السجناء أيامهم ولياليهم فيطهروا من الروائح الخبيثة ويجددوا هواءها ويجعلوا أشعة

الشمس أن تنفذها ويعتوا بتنظيفها وتعديل درجة الحرارة فيها، ويجعلوا السجناء في كل غرفة منها على نسبة اتساع تلك الغرفة لا أن يحشروا الناس فيها حشراً ويخنقوهم خنقاً.

كان العقاب الوحيد في المدارس منذ بضع عشرات من السنين الضرب بالعصا، وكان المعلمون يعاقبون التلاميذ بهذه العصا على كل هفوة، غير أن هذا العقاب قد زال الآن من أكثر المدارس الراقية وكانت النتيجة خيراً للدارسين. والسجون - وهي عصا التأديب - كلما قل استعمالها واستغنى عنها، كان في ذلك صلاح للهيئة الاجتماعية وخير كبير.

كل شيء في هذا الوجود يجب أن يرافق سير التمدن والحضارة ويتدرج إلى الكمال بتدرج هذا التمدن. وقد كانت السجون مما لا بد منه فيما مضى من الأدهار. أما وقد خطا البشر خطوات واسعة في طريق الحضارة، فصار من المتحتم أن تلغى هذه السجون أو تصلح أو يبحث عن أسلوب آخر يفى بالغرض المقصود من إقامة الحد على المذنب والجاني. وإذا كان لا بد من بقائها فيجب أن تراعى فيها أحوال السجناء وآدابهم، ويحرص على أن تكون ذريعة لصلاح أخلاقهم وتقويم ما اختل منها، لا أن تكون كما هي الآن ذريعة لاسترسالهم في الشرور وانحطاط آدابهم إلى أسفل الدركات.

علمنا من درس أحوال السجناء في القدس وعكا أن كثيرين منهم كانوا لا يكادون تنتهي مدتهم ويطلق سراحهم حتى يعودوا إلى السجن - إلى بيتهم - كأنهم استمروا أكله وشربه وراقهم فراشه الوثير ونسيمه البليل. إذن لم يكن السجن واسطة لتأديب هؤلاء ووازعاً لهم من المآثم، وبعد البحث والتحري علمنا أن أكثر هؤلاء القوم أخذوا بجريمة السرقة، وذلك لعدم وجود واسطة أخرى في أيديهم لكسب معاشهم فكان تشردهم باعثاً على سقوطهم.

تسعون في المئة من السجناء الذين رأيناهم سرقة ولصوص. أدبوا هؤلاء الناس أيها الحكام ولكن برفق، لأن أكثرهم لم يسرق إلا عن حاجة واضطرار، علموهم في السجن بعض المهن النافعة حتى إذا خرجوا وجدوا باباً للرزق شريفاً ينصرفون إليه، هذبوا أخلاقهم، علموهم، اقتلعوا من نفوسهم جرائم الشر والبطالة وازرعوا مكانها بذور الصلاح والخير وحب العمل، حولوا السجون إلى مدارس تهذيبية وصناعية فيقل عدد السجناء وتفرغ السجون.

أحصينا في سجن القدس أيام كنا فيه نحو الأربعمئة سجين، وفي سجن عكا نحو المئة، وقد رأينا النظافة في غرف سجن القدس على أتمها والإدارة منتظمة غاية الانتظام، ولكننا رأينا أن هذه الأثواب الزرقاء الخصوصية التي يرتديها السجناء وإرغامهم على المشي حفاة في السجن وخارجة شدة يمكن الاستغناء عنها. لأن الغاية من السجن هي التأديب لا التعذيب، وحفظ كرامة السجين لا احتقاره واهانتة إلى هذا الحد.

رأينا في سجن عكا أن السجناء يتمتعون كل يوم بنزهة ساعتين في حديقة السجن - في الهواء الطلق والشمس المشرقة، وكنا نود أن يكون لسجناء القدس مثل هذه الحديقة وهذه النزهة اليومية.

رأينا في السجنين ضغطاً شديداً في مسألة التدخين، فالإدارة تحظر على السجناء التدخين وتعامل من تجد معه دخاناً أو تراه يدخن بالعقاب. جميل هذا المنع لو كان النجاح حليفه لأنه يمنع عن السجناء هذه الآفة المضرة، ولكننا رأينا الأمر بالعكس، فالسجناء يدخنون ووجوه الحيلة كثيرة لديهم، وتراهم كلهم أصبحوا مهرة متقنين في الحرص على ما يكون لديهم من لفائف التبغ أو بقايا هذه اللفائف حرصهم على أنفس الأشياء، ومهما بحث مأمورو السجن - وقد يتجاوزون كل حد في هذا البحث - فإنهم يظنون مغلوبين ولا يستطيعون الاهتداء كل مرة إلى المخابئ التي

يعرفها السجناء، ويتفنون في اختراعها كأن كل قوى عقلهم من أول يوم دخولهم السجن تنصرف إلى اختراع أمثال هذه المخابىء.

لم يعجبنا في السجن أن الإدارة تحظر على السجناء المطالعة بحجة أن المطالعة نوع من التسلية، وهذا خطأ كبير في نظرنا. نعم إن المطالعة ضرب من التسلية ولكنها مفيدة، فلماذا يمنعون الفائدة عن السجناء ولو كان فيها تسلية، وإذا هم حظروها على السجناء فماذا يظنون أن السجناء يفعلون؟، وكيف يصرفون أوقاتهم؟، وماذا تكون أحاديثهم ومسامراتهم؟. لا شك أنها تكون كلها منصرفة إلى انتقاد الحكومة والتبرك منها، فضلاً عن انصراف أذهانهم وألسنتهم إلى كل قبيح من الأفكار وبذيء من الكلام. وكنا نتمنى في كل سجن مكتبة حافلة بكل أدبي ومهذب من الكتب والمجلات ليطلع السجناء فيها ما شاءوا ويستفيدوا بقدر ما تتسع لذلك عقولهم. انتقدنا على بعض المأمورين - ولا نقول أين - الخشونة والفظاظة اللتين يعاملون بهما السجناء .. وقد يأتي سجين جديد إلى السجن فأول ما يبتدرونه بالشتم وقبيح الكلام .. وهذه قحة من المأمور في غير محلها.

وانتقدنا على بعضهم ضرب السجناء بدون محاكمة، وبدون أن يأمر بذلك مدير السجن أو مفتشه. ورأينا مرة مأموراً يضرب سجيناً ضرباً مبرحاً، فسألناه عن السبب، فقال: إنه لا يريد أن يحمل هذا الحمل. وكان الحمل ثقيلاً جداً، فقلنا للمأمور: وهل تقدر أنت أو اثنان مثلك أن يحمله؟، فخلج المأمور وسكت. و"أكل السجين المسكين القتلة" وسكت أيضاً.

السنة في سجن القدس تسعة أشهر، والستة أشهر أربعة وهلم جرا، أي أن السجين يقضي في سجن القدس ثلاثة أرباع مدته ويخرج. ولم تكن الحالة في سجن عكا هكذا، فالسنة هناك اثنا عشر شهراً كاملة، ولم نعلم حتى الآن السر في ذلك. جاءنا مرة سجين ونحن في سجن القدس وطلب عوداً من الثقب (عود كبريت) فلم نبخل عليه به، ولكننا بعد انصرافه أخذنا في التأمل وقلنا في أنفسنا: إننا أعطينا

السجين العود ليشعل لفافته بلا شك، ولكنه لو ذهب الآن وأشعل السجن بدل اللفافة مبتدئاً بذلك من ثيابه وغرفته واحترق السجن أخيراً، وحققت الحكومة فوجدت أن السجن احترق من عود الثقاب الذي أخذ منا، فهي بلا شك ستجازينا شر الجزاء، غير أننا لم نعط السجن عود الثقاب ليحرق به السجن، وإنما أعطينا إياه ليحرق لفافته، وعند ذلك خطر في بالنا الخطاب الذي ألقيناه في يوم الحادثة وما جوزينا به بسبب ذلك. إننا خطبنا وليس في نيتنا الثورة كما أعطينا العود وليس في نيتنا احراق السجن، فاشتعلت الفتنة وأخذنا نحن.

هذا بعض ما علق في الذهن من حوادث السجن بسطناه لتفكه خواطر القراء، وحفظه تاريخاً لحادثة 4 نيسان المشهورة، ونحن لو أردنا الإسهاب لامتد بنا نفس الكلام إلى ما يملأ مجلداً برمته.

والله المسؤول أن يجعل هذه الحادثة خاتمة أمثالها، ويقي البلاد من كل مكروه، ويسدنا جميعاً إلى ما به عموم النفع بفضله عز وجل وحسن توفيقه.

القسم الثاني
القدس - ثورة العشرين

القدس: موسم النبي موسى

يُعد موسم النبي موسى في مدينة القدس أحد أهم المواسم الدينية المعروفة في فلسطين، كموسم النبي صالح في مدينة الرملة، وموسم النبي روبين في يافا، وموسم المنطار في غزة، وموسم الحسين أو وادي النمل في المجدل، وموسم أربعاء أيوب في قرية الجورة، ويضاف إليها الاحتفال بيوم المولد النبي، والإسراء والمعراج، إلى جانب الأعياد الإسلامية عيدي الفطر والأضحى، وكذلك ثمة العديد من المواسم الأخرى التي تحتويها القرى الفلسطينية.

ولم تقتصر الاحتفالات الدينية والشعبية على المسلمين فقط، بل كان للمسيحيين في فلسطين أعيادهم ومناسباتهم ومواسمهم الدينية والشعبية، وكان ثمة مشاركات وزيارات متبادلة بين المسلمين والمسيحيين في أعيادهم ومناسباتهم.

يذكر كامل العسلي في كتابه "موسم النبي موسى في فلسطين"⁽²⁾ أن هذه الأعياد والمواسم، دون الأعياد الإسلامية، هي أعياد قديمة تعود إلى زمن الكنعانيين والمصريين (الفراعنة) والبابليين، حافظت عليها الذهنية الشعبية الفلسطينية بكل مكوناتها من مهرجانات، ومواكب، وحفلات غناء، وتلاوة الأدعية والصلوات والابتهالات، ونحر الذبائح وتقديم الأضاحي، وصبغ البيض، وصبغ الأيدي بالحناء وغيرها.

وقد أُعيد تنظيم هذه المواسم في عهدي الدولة الأيوبية والمملوكية، يقول عارف العارف بعد أن استقر صلاح الدين في القدس: "رتب الأعياد والمواسم المعروفة في بلادنا، ومنها موسم النبي موسى لأهل القدس وأعمالها، وموسم النبي صالح للرملة

(2) يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولت بالشرح والتحليل هذا الموسم ودلالاته، وحقيقة وجود

قبر النبي موسى في هذا المكان القريب من أريحا، والأبعاد التاريخية والدينية لمقام النبي

موسى.

وأعمالها، وموسم الداروم لغزة وأعمالها، وكذلك قل عن موسم المنطار، وموسم الحسين لعسقلان أعمالها، ... وغير ذلك كثير". وكان الهدف منها حشد أكبر عدد ممكن من المسلمين لمواجهة أي احتمال لسيطرة الصليبيين مرة أخرى على الأراضي المقدسة. لذلك قرر صلاح الدين إقامة تجمعات احتفالية في عموم فلسطين، ويخرج فيها الأهالي بكامل عتادهم وخيلهم وسلاحهم، تحسباً لأي هجوم غادر من القوات الصليبية، وبث الرعب في نفوسهم إذا عادوا لفكرة غزو الأراضي المقدسة.

وبهذا يعد الاحتفال بهذه المواسم ومن بينها موسم النبي موسى ذو طابع عسكري يحمل بعداً سياسياً، يقول عارف العارف: "فقد جمع السلطان صلاح الدين لهذا الموسم قرى بني مالك وبني حسن وجبل القدس والوادية، وعززهم بجبل الخليل ونابلس الذين يردون متعاقبين إلى القدس مع أسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم استعداداً للطوارئ".

بعد تحرير القدس من الصليبيين سنة 1187م، مر صلاح الدين الأيوبي في طريقة إلى مكان مقام النبي موسى قرب أريحا، ولم يكن المقام موجوداً بالطبع آنذاك، وحسب المرويات أنه وجد في المكان بعض الأعراب يقيمون حول قبر، فسألهم عن هوية صاحبه، فقالوا له بأنه لكليم الله موسى، فشرع ببناء المقام. والحقيقة التاريخية تؤكد أن المقام ليس له علاقة بالنبي موسى، الذي لا يعرف مكان قبره تحديداً، وحسب رواية العهد القديم (التوراة) بأن النبي موسى لم يدخل أرض فلسطين، وأنه مات في أرض مؤاب، أو أن آثاره فقدت على جبل نبو أو نيبو بالأردن. تقول التوراة: "صعد النبي موسى من أرض مؤاب إلى جبل نبو إلى قمة الفسحة تجاه أريحا" .. "فأراه الرب جميع الأرض، وقال له إلى هناك لا تعبر"، وعلى هذا درج اليهود والمسيحيون.

أما المسلمون فقد كانت لهم رؤية أخرى اعتمدوا فيها على حديث أبو هريرة الذي رواه البخاري عن قبر النبي موسى في هذا المكان، قال: "أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صغّه ففقاً عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد

لا يريد الموت، قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي ربِّ ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر". وكذلك على حديث أنس بن مالك الذي رواه مسلم: "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتيتُ - وفي رواية: مررت - على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يُصلي في قبره".

وثمة روايات عديدة أوردتها كامل العسلي في كتابه حول مسألة وفاة النبي موسى، وآراء الباحثين والمؤرخين وعلماء الدين في مكان وجود قبره. وفي رأينا أن جميعها روايات ضعيفة لأنها متناقضة، وثمة اختلاف كبير بين الباحثين على تحديد مكان قبره، وإنما الثابت تاريخياً ودينياً أنه لم يدخل أرض فلسطين، والذي حارب العمالقة الكنعانيين حسب التوراة والقرآن هو يوشع بن نون. يروي البخاري عن أبي هريرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس".

لقد بدأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى في هذا المكان شرقي البحر الميت منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) زمن الاحتلال الصليبي. وقد صاغت الذهنية الشعبية رواية خيالية لكي تؤكد بها على وجود القبر في مقابل الروايات التي تؤكد موت النبي موسى في مؤاب. ذكروا بأن الملائكة عندما جاءوا لقبض روح النبي موسى، وكان في الجانب الشرقي من نهر الأردن، فهرب منهم إلى الغرب لينجو من الموت إلى أن وصل لهذا المكان، وقام الملائكة بحفر القبر، ثم أغروه بالدخول إليه، وعندما حاول الخروج منه جاءه ملك الموت، فأسلم الروح.

زار السلطان الظاهر بيبرس مدينة القدس للمرة الثانية في سنة 1265م، ومر في طريقة بمقام النبي موسى، وحين رآه مهملأً، أمر بإنشاء القبة والمسجد فوق المقام. ونعتقد أن بيبرس أمر ببناء القبة والمسجد لكي يميز المقام عن دير السبق المسيحي (دير مار سابا) الذي يجاور المقام. وقد نقش أعوان السلطان بيبرس لوحة من الرخام في الجدار الشرقي لغرفة الضريح تحمل اسمه والدعاء له ومكانته الدينية والسياسية، وتاريخ النقش في سنة 1269م. وأوقف علي المقام الكثير من العقارات والأراضي، لصيانته وإعمارها، وإطعام الزائرين وإيوائهم، ودفع مرتبات العاملين عليه، وكان هذا الوقف شاسعاً، أورده العسلي كاملاً، وضم عدة قرى ومساحات كثيرة من الأراضي الزراعية، بحيث كان كافياً للإنفاق على المقام والموسم طوال مئات السنين. ولم تتوقف عمليات إعمارها والإضافة إليه حتى العهد العثماني. يقول مجير الدين الحنبلي في كتابه: "ثم بنى بعده (يقصد بيبرس) أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله، فحصل النفع بذلك للزائر. في سنة 875هـ (1470م)، وسع داخل المسجد من جهة القبلة، ثم بني به منارة في سنة 880هـ (1475م)، واستمرت عمارته حتى سنة 885هـ (1480م). وفي زمن العهد العثماني جرت عمليات تعمیر واضافات للمقام، فقد تم اعمارها سنة 1717م على يد "علي كتحدا" أحد أعيان مصر في زمنه، وفي سنة 1737م يشير نقش كتب فوق المدخل الغربي الرئيس لسور المقام عن تجديد واعمار للمكان، وفي سنة 1819م أضيف إليه رواق جديد بأمر من والي صيدا وطرابلس "عبد الله باشا"، وفي سنة 1885م جرت عملية تعمیر واضافات بمبادرة من مفتي الديار القدسية محمد طاهر مصطفى الحسيني.

وقد أصبح المقام مزاراً للمتصوفين من جميع أنحاء العالم الاسلامي، وقد سجل التاريخ أسماء العديد من المتصوفين العرب الذين زاروا مقام النبي موسى في أوقات مختلفة، وسجلوا في كتاباتهم عن انطباعاتهم ورؤيتهم للمكان، من بينهم: الشيخ أحمد

بن محمد المقرري التلمساني الذي زار المقام سنة 1627م، وأشار إلى هذه الزيارة في كتابه "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب).

والشيخ عبد الغني النابلسي الذي زار المقام في رحلته التي كتبها بعنوان "الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية" سنة 1689م، وأشار إلى معجزات المقام، وأكد على صحة وجود قبر للنبي موسى في المكان، وشارك في حلقات الذكر وقراءة الأوراد والأدعية في المقام. ومما جاء في كتابه عن زيارته لمقام موسى بن عمران عليه السلام، حيث زار المقام مع رفقة من الأصحاب، وهذا المكان هو خارج مدينة القدس تحديداً في غور أريحا شرقي بيت المقدس، كما يقول، ويصف صعوبة الطريق ووعورتها، حتى يقبلوا على ذلك الكثيب الأحمر وقد بني حوله بالجص والحجر الأغبر، وحين يفتح لهم باب المقام المؤنس، فيتوجه مع رفاقه إلى جهة المزار العظيم، والقبر الذي أشرفت عليه أنوار الكليم، فوجدوا باب القبة مفتوحاً، فدخلوا إلى قبالة القبر الشريف، وقرأوا الفاتحة، وإذا بالخيالات تلمع في داخل تلك القبة، بحيث تتحير فيها عيون الأحبة، وهناك من الحضور من يشهد أنها خيالات الملائكة، تصعد وتنزل من حضرة الملكوت على هاتيك التربة المباركة.

ومن الذين زاروه أيضاً الشيخ مصطفى البكري الصديقي الذي زار القدس في رحلتين: الأولى في عام 1710م وسجلها في كتاب بعنوان "الخمرة الحسية في الرحلة القدسية"، والثانية قام بها في سنة 1714م وسجلها في كتاب بعنوان "الخطرة الثانية الأنسية للروضة الدانية القدسية"، وفيها زار المقام وذكر أنه أقام فيه ستة أيام وأدى الشعائر الدينية ووصف طرفاً من كراماته.

والشيخ مصطفى أسعد اللقيمي الذي زار المقام في سنة 1730م وسجلها في كتابه "تهذيب ملامح الأناضول في رحلتي لوادي القدس"، وفي المقام أدى الواجبات الدينية، وأكد على الخيالات والأشباح التي تظهر في القبر وهي دليل على صحته،

رغم أنه أشار في كتابه إلى الرؤى المختلفة حول وجود قبر النبي موسى في هذا المكان، وسمى الأماكن العديدة التي زعم أنه دفن فيها. لقد كان لمواقف ورؤى علماء الصوفية وحكاياتهم دور كبير في نسج المعتقدات والحكايات الشعبية عن معجزات النبي موسى وكرامات مقامه لدى العامة من الناس.

تشير المصادر التاريخية إلى أن أول إشارة لموسم النبي موسى أو زيارته من طرف أهالي القدس جاءت في كتاب شمس الدين السيوطي (ت 880هـ - 1475م)، حيث يشير إلى طبيعة الاحتفالات الدينية وزيارة المقام، ويذكر "أن الناس كانوا يتحملون مشقة الذهاب إليه ويبيتون عنده، ومشقة الإياب ويذبلون الأموال في عمل المأكل والمشرب وأجرة الدواب، يفعل ذلك الرجال والنساء من أهل القدس وغيرهم من الواردين عليه بقصد الزيارة لا يخلون بذلك حتى الآن".

وثمة ما يدل على أن هذا الموسم اكتسب أهمية إقليمية، حيث تأتي إليه وفود من جميع أنحاء العالم الإسلامي من الهند والصين، وأسيا الوسطى، وبلاد النوبة، والمغرب، وساحل إفريقيا الشرقي، وتركيا، والحجاز، ومدن الشام، ومصر. كثير منهم كانوا يمدون بالقدس أثناء توجههم لأداء فريضة الحج في مكة أو لدى عودتهم منها. يمثل موسم النبي موسى عيداً شعبياً يشترك فيه سكان المدن والقرى الفلسطينية، وكانت الحكومة العثمانية تبدي اهتماماً بهذا الموسم، وتؤمن القوات الضرورية لحفظ الأمن فضلاً عن فرقة موسيقية للاحتفاء بالمناسبة، وكانت تنصب مدفعاً بالقرب من باب الأسباط يحيى العلم النبوي عند نزوله وعند صعوده، وتحاط المواكب بالجند والفرسان. وينقضي الأسبوع بالألعاب والأغاني والاحتفالات بصورة ممتعة. كان المحتشدون ينشدون الأهازيج الحماسية المرتبطة بالنبي موسى:

يا زوار موسى سيروا بالتهليل
زنا النبي موسى عقبال الخليل

يا زوار موسى زوروا بالعدة
زنا النبي موسى عقبال الحجة

يا زوار موسى زوروا بالدرقة
يا زوار موسى زوروا بالأعلام
يا زوار موسى طحتوا سالمين
وشعرك يا موسى حرير في ورقة
زرنا موسى وعليه السلام
يا زوار موسى تردوا سالمين

لولاك يا موسى
ولا دهسنا الحصا
مسيك بالخير يا ابن عمران
يا ساكن الغور
ما جينا ولا تعنينا
ولا الرمل بإجرينا
وبلاد حوران

يا ابن عمران حرك الميزان
حلاوة النبي موسى بركة
تمر النبي موسى بركة
ليمون النبي موسى بركة

منذ أوائل القرن التاسع عشر ارتبط موسم النبي موسى بعائلة الحسيني. كان يرأس الاحتفالات نقيب الأشراف عمر بن عبد السلام الحسيني، وبعد ثورته مع ابن عمه طاهر الحسيني (المفتي) على المصريين (جيش ابراهيم باشا) سنة 1834م، انتقل الاشراف إلى المفتين المتعاقبين من آل الحسيني مصطفى طاهر الحسيني سنة 1865م، ثم ابنه طاهر مصطفى الحسيني الذي بقي في الافتاء أكثر من أربعين سنة، وخلفه بعد وفاته سنة 1908م ابنه كامل طاهر الحسيني الذي تولى الافتاء حتى وفاته سنة 1921م، ومن بعده أصبح الحاج أمين الحسيني مفتياً للقدس، ومشرفاً على احتفالات النبي موسى.

بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين أبدت السلطات الحاكمة اهتمامها ورعايتها بالمواسم الدينية كنوع من المحافظة على مشاعر المسلمين والمسيحيين، بناء على ما

جاء في وعد بلفور "عدم الانتقاص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين". لذلك شارك رجال الحكومة في موسم النبي موسى سنة 1919م، وقد كان حاكم القدس "رونالد ستورز" هي الذي افتتح المهرجان في سنة 1919م، وفي أول يوم من الاحتفالات كان ستورز يستقبل راية النبي موسى المقدسة في مكتبه، وينشر الراية وينصبها على زانة، ويعلق هلالها أمام الكاميرا، وأمام رئيس بلدية القدس ووجهاء المدينة.

وبعد تدفق الهجرات اليهودية، وبداية تشكل زعامات يهودية صهيونية مرتبطة بجهاز الحكم البريطاني في فلسطين، بدأت الأمور مختلفة، ففي السنة التالية 1920م، رفضت سلطات الاحتلال البريطاني حماية الاحتفالات ومواكبة الحشود إلا بأعداد قليلة من الشرطة، لذا شعر وجهاء القدس أن ثمة أمراً مبيتاً من اليهود تجاه الاحتفالات، فطالب رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني توفير الحماية للمحتفلين، إلا أن طلبه لم يجاب عليه حاكم القدس ستورز.

وقد ارتبط موسم النبي موسى في التاريخ الفلسطيني المعاصر بالزعيم الفلسطيني الحاج أمين الحسيني، ففي عهده وتحت اشرافه بلغت الاحتفالات بالموسم أوجها، واكتسبت طابعاً وطنياً وسياسياً قوياً موجهاً ضد الاستعمار والصهيونية. فقد كان يقود المواكب التي تأتي من كل مناطق فلسطين، تسبقها المسيرات الشعبية، وفي كل منطقة تمر منها المواكب، يخرج أهلها للانضمام إليها، وبعد أن تمكث الوفود في المقام وحوله فترة الموسم، تعود إلى القدس بموكب حاشد تنشد فيه الأناشيد الوطنية والدينية.



كان موسم النبي موسى يشكل عنصراً فائق الأهمية في تعزيز الشعور بالانتماء الوطني، وفي بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية، وفي التعبير عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين. بعد الحرب العالمية الأولى أدخلوا اسم الأمير فيصل والجيش العربي في كافة أهازيجهم، وفي السنوات اللاحقة للاحتفال كانت الأهازيج والأغاني تتغير وفق مقتضيات القضية الفلسطينية وثورتها.

في شهر نيسان/ إبريل من كل عام كان الناس يتدفقون نحو المسجد الأقصى المبارك في حشود ضخمة تأتي من المدن والبلدات في شتى أنحاء فلسطين، ومن بعض البلاد العربية والإسلامية، فيجتمعون في القدس وتضج بهم أزقتها وشوارعها وساحاتها، فهم كالجيش الشعبي الزاحف، وتعلو منهم الهتافات والصيحات والتكبيرات وترفع الأعلام والبيارق.

وقبل أيام من الاحتفال يستنفر أهل القدس في الإعداد لاستقبال الوفود القادمة من أنحاء فلسطين والبلدان الأخرى بالورود والزغاريد، وإطعامهم على وقع الطبول والأهازيج.

كانت أكبر الوفود من مدينتي نابلس والخليل، حيث يأتي كل وفد من وفود المدينتين في يومين مختلفين، فقد كان أهل نابلس يدخلون من باب العامود يوم

الخميس، وأهل الخليل يدخلون من باب الخليل يوم الأحد، وكانوا يتنافسون في أعدادهم وما يجلبوه من خيرات، ويستعرضون قوتهم بهتافات ضد الاستعمار، مثل قولهم: "نحننا ولاد جبل النار شوكة بخلق الاستعمار".

وعند استكمال توافد الوفود، يجتمعون في باحات المسجد الأقصى، وبعد صلاة الظهر في الأقصى، ينطلق موكب مهيب ترفع فيه الرايات والبيارق، ويتقدمه المفتي وأعيان المسلمين والمسيحيين، نحو مقام النبي موسى المشرف على القدس من جهة أريحا. لقد جسد الاحتفال وحدة التلاحم بين المسلمين والمسيحيين في القدس. ثم يتحرك الموكب وصدى هتافهم يهز أرجاء مدينة القدس:

يا ربنا بالفاتحة والرجال الصالحة
تجعل أعمالنا ناجحة وتنصر جيوش المسلمين
يا ربنا بالبقرة وبالرجال العشرة
تهدم بيوت الكفرة وتعمّر بيوت المسلمين

وقد لعب موسم النبي موسى أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين دوراً هاماً في شحذ الهمم وتوجيه الجماهير نحو تبني القضايا الوطنية، وحشد الناس وتعبئتهم لمراحل المواجهة المرتقبة، الأمر الذي نقرؤه بوضوح في هتافات المشاركين من قرى نابلس:

اسمع مني يا عزيزي ليث الشام يهزم باريز
يلعن أبو الإنكليزي والثوار هُمّه الأمارا
فدا البُراق والحرم لنا الحمى لنا العلم

ولا يغيب عن أذهان الجماهير المحتشدة الهتاف لمفتي فلسطين وقائد الموكب الحاج محمد أمين الحسيني، حيث كانت تصدح الحناجر بالهتافات الحماسية:

حج أمين ويا منصور بسيفك هدينا السور
حج أمين عَ حصائنه جيش العرب قُدامه

الله عَزَه وعائهُ الله عَزَه وعائهُ
المندوب السامي ع حماره جيش الصهيوني قدامه
الله ذَلَه وهائهُ الله ذَلَه وهائهُ

ومن الهتافات التي كانت ترددها الجماهير المحتشدة في ساحات المسجد الأقصى وشوارع القدس، ما يعبر بوضوح عن رفضهم لكل الاجراءات العنصرية البريطانية، ورفضهم للمشروع الصهيوني في فلسطين:

يا هودي بيخ بيخ حُطوا راسو بالطبيخ
يا هودي داده داده حُطوا راسه بالقعادة
قشّة قشّة لليهودي نحرق ذقنه لليهودي

يقطع الموكب المحتشد طريق القدس - أريحا وهم يهتفون أكثر من ألف متر، وفور وصولهم تُنصب حول المقام أكثر من ألف خيمة، وتذبح الذبائح والنذور، ويُختن الصبية، وتؤدى المراسم الدينية ومسابقات الخيل ويتبارز الرجال بالسيوف.



يصف خليل السكاكيني في مذكراته مشاهداته لهذا الموكب في باب الأسباط بقوله: "ومما عجبت له أن كل واحد من أهل البر (الريف) يعرف تلك الأهازيج ويحسن كل ضروب الرقص، ولاحظت أن القرى البعيدة عن المدن أشد رجولية وحماسة من القرى القريبة، بل قد رأيت في أهازيج القرى القريبة ورقصها آثار الضعف والتخنت؛ فبينما ترى أهل القرى البعيدة أضخم أجساماً وأقوى أصواتاً وأشد حماسة، وأفخم أزياء، ترى أهل القرى القريبة أنحف أجساماً وأضعف أصواتاً وأقل حماسة، وترى الواحد منهم بعمامة، والآخر بعقال، والآخر بطربوش، والواحد بعباءة، والآخر بساكو، وكذلك ترى بينهم اختلافاً كبيراً في الأحذية، فالواحد يلبس الجوارب والأحذية الصفراء والآخر عاري القدمين، ورأيت في بعض مواكب أهل القرى القريبة واحداً مكشوف الرأس وقد فرق شعره كأنه من رجال الصالون، وآخر يحمل في يده عصا سوداء مفضضة اليد بدلاً من السيف مما لا يلتئم مع هذه الحفلات والمواكب".



تستمر الاحتفالات في مقام النبي موسى لمدة أسبوع، حيث تعود المواكب إلى مدينة القدس وتتوجه نحو المسجد الأقصى، وعادة ما يكون يوم العودة يوم الخميس، وفي اليوم التالي المصادف الجمعة العظيمة، يجري الاحتفال الكبير والنهائي بزفة

الأعلام، وأهم الأعلام كانت علم النبي موسى، وعلم نابلس، وعلم الخليل. وبعدها تغادر الوفود كل إلى مدينته أو قريته.

يكتب الباحث اليهودي "يائير فالاخ" عن دلالات الأعلام في موسم النبي موسى، قائلاً: "وكان لكل مجموعة من الزوار علم خاص بها مطرز بنقوش عربية، وفي رأس الموسم كانت مجموعة أعلام الأعيان المقدسية، وأهمها علم النبي موسى الذي احتفظ به تقليدياً مفتي القدس الذي كان من آل الحسيني، وكان علم النبي موسى الركيزة الأساسية للموسم، وهو يشبه أعلام المواسم الأخرى في فلسطين، وتشير إلى تقليد اسلامي قديم يقوم باستخدام الأعلام المطرزة، والقماش المنقوش، الذي له مكان مركزي ومهم في الثقافة المرئية الاسلامية.

وكانت جميع الاحتفالات تدور حول علم النبي موسى من انطلاق الموسم إلى نهايته. وكان لآل الحسيني هيمنة وسيطرة على العلم واحتفالات الموسم. فقد عكست سيطرة آل الحسيني على البيدق الفريد أهم الأعلام في فلسطين مكانة العائلة في المجتمع الفلسطيني العثماني، كأصحاب مناصب عليا مثل مفتي القدس ورئيس بلديتها.

في هذا الموسم (يقصد موسم 1920) ظهر علم جديد إلى جانب الأعلام التقليدية وهو العلم العربي القومي، وكان هذا العلم رمزاً تجريدياً، من دون أي نص اسلامي وبلا أي شعار عربي، وقد مثل هذا العلم آمال الناشطين القوميين للإلتحاق بسورية تحت قيادة الملك فيصل".

ما زالت بعض هذه الأعلام موجودة في متحف الحرم الشريف تحمل نقوشاً من آيات القرآن الكريم، وشعارات التوحيد والتكبير، وإشارات إلى الأنبياء والخلفاء والأولياء.

بعد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين عام 1948، وبقاء القسم الشرقي من القدس تحت الإدارة الأردنية، استمر الاحتفال بموسم النبي موسى حتى عام 1967، وبعد أن

احتلت اسرائيل القسم الشرقي من مدينة القدس منعت الاحتفال بهذا الموسم، وتحولت منطقة المقام إلى معسكرات وثكنات عسكرية للقوات الاسرائيلية.

وبعد قدوم السلطة الفلسطينية إلى منطقة أريحا عام 1994، سمحت سلطات الاحتلال للفلسطينيين باستخدام ممر ضيق لموقع المقام. ورغم الوجود العسكري الإسرائيلي المكثف في المناطق القريبة والمعلنة مناطق عسكرية. تداعت مؤسسات أهلية ورسمية لإحياء الموسم كما كان يحدث منذ تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي قبل 900 عام، ولكنها بقيت احتفالات متواضعة، لم تأخذ الطابع الوطني الجماهيري.

يشير "يائير فالاخ" عن محاولات الفلسطينيين لإحياء الموسم بعد قيام السلطة وأسباب فشلهم قائلاً: "في أواخر التسعينات، عندما حاولت السلطة الفلسطينية احياء الموسم تحت رعاية فيصل الحسيني، لم يظهر علم النبي موسى المقدس، إذ كان العلم مخبأً في صندوق خشبي في القدس الشرقية لدى فرد آخر من أفراد العائلة هو سعيد إبراهيم الحسيني الذي رفض رفضاً باتاً عرضه في هذه الاحتفالات التي في رأيه لا علاقة لها بالموسم الأصلي والحقيقي".



يقع مقام النبي موسى في المنطقة الجغرافية المعروفة ببيرية القدس على بعد 30 كيلومتراً شرقي المدينة، عند الكيلو 28 من الطريق الرئيسي القادم من القدس والمتجه إلى البحر الميت ومدينة أريحا، التي تبعد عن القدس حوالي 35 كيلومتراً، ويبعد عن طريق القدس - أريحا التاريخي كيلومتراً واحداً، وهناك طريق فرعي يتجه جنوباً طوله 4 كيلومترات ويؤدي إلى المقام، ويقع المقام على تلة ترابية في هذه المنطقة المنعزلة على بعد 7 كيلومترات من مدينة أريحا، ويبعد نحو 200 متر عن المنطقة العسكرية الاحتلالية المغلقة منذ عام 1967 والتي تمتد من شمال البحر الميت إلى جنوبه على حدود الخط الأخضر، وبعثق يتراوح ما بين 10 - 15 كيلومتراً.

القدس: أسباب ثورة العشرين

منذ أن وطئت أقدام بريطانيا أرض فلسطين بين عامي 1917-1918 كان ثمة زواجاً كاثوليكياً بين الصهيونية العالمية والاحتلال البريطاني على أرض فلسطين، وساهم المجتمع الدولي ممثلاً بعصبة الأمم في منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين عام 1922، وبدأت في تمهيد الأرض الفلسطينية لإقامة الوطن القومي اليهودي تنفيذاً لوعده بلفور والمادة الثانية من صك الانتداب، وذلك بالضغط على سكانها العرب وسلبهم جميع الحقوق المدنية والشرعية، وإعطاء اليهود جميع الامتيازات والتسهيلات، وتهويد الوظائف، وفتح جميع الأبواب للهجرة اليهودية، وتكريس الاستيطان اليهودي، كل هذا كان مخالفاً لرغبات الشعب العربي الفلسطيني في الاستقلال والحرية مما دفع الشعب العربي الفلسطيني إلى إشعال الثورات ضد الوجود البريطاني والحركة الصهيونية رافضين الكيان اليهودي، والإجراءات التي تمارسها حكومة الاحتلال البريطاني ضدهم دعماً لليهود وأهدافهم.

فقد ضحى الفلسطينيون بالغالي والرخيص حين كان يتدافع الشباب الفلسطيني الأعرل بالهبات الشعبية مدافعاً عن حقوقه الوطنية ويسقط منه الشهداء والجرحى، ويتم زج المئات إلى المعتقلات والزنازين، وشهدت فلسطين الثورات المتعاقبة في ظل أعقد الظروف الموضوعية والذاتية معتمدة على الشعب الفلسطيني في مواجهة المخططات الاستعمارية وأهدافها بمساندة الأحرار في البلدان العربية، وكان الاحتلال البريطاني يمارس إرهابه المنظم في قمع الانتفاضات المتتالية بإصدار القوانين الظالمة وسياسة الترهيب والبطش والتنكيل ومصادرة الحريات وحقوق الإنسان والأحكام العرفية التي حكم فيها بالإعدام على عشرات المناضلين الفلسطينيين بهدف الإجهاد السياسي لتلك الثورات، وكسر إرادة الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال وتقرير مصيره.

وكان هناك الكثير من مصادر للسخط الشعبي المتزايد في أواسط الشعب العربي الفلسطيني. فاللجنة الصهيونية (وهي لجنة وافق الحلفاء على تشكيلها برئاسة حاييم وايزمان عام 1918م لتتعاون مع حكومة الانتداب البريطاني في تطبيق وعد بلفور) أخذت تدلي بالكثير من التصريحات الاستفزازية التي كشفت أطماع الحركة الصهيونية في فلسطين، ومحاباة سلطات الاحتلال البريطاني للمستعمرين الصهيونيين على حساب السكان العرب في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها.

وقد دعمت السلطات البريطانية انشاء جيش صهيوني فلسطين، بطلب من "حاييم وايزمن" الذي كلف "فلاديمير جابوتنسكي" بإنشاء هذا الجيش، يقول أسعد رزوق في كتابه "اسرائيل الكبرى": وقد "شرع جابوتنسكي بتشكيل جيش من اليهود بمعرفة السلطات البريطانية وموافقتها، وتم تدريبهم على مرأى من السلطات البريطانية".

أدرك الفلسطينيون أن السياسة البريطانية تتجه نحو تنفيذ وعد بلفور، فبدأت الاحتجاجات والمظاهرات الصاخبة في القدس وفي غيرها من المدن الفلسطينية منذ الأيام الأولى للاحتلال البريطاني رفضاً للسياسات البريطانية والوطن القومي اليهودي، وهدد المحتلون البريطانيون باتخاذ أقسى العقوبات بحقهم بيد أنه لم ترهبهم هذه التهديدات، وكان من نتيجة ذلك أن قامت أول تظاهرة عربية صاخبة بقيادة موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس في نوفمبر عام 1918، وقدم في نهاية المظاهرة احتجاجاً إلى كل من حكومتي بريطانيا وأمريكا على الإجراءات التعسفية بحق شعب فلسطين.

كانت المؤشرات الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا هي فصل فلسطين عن سوريا تمهيداً لإقامة الوطن اليهودي، وقد أدرك الفلسطينيون مرامي القوى الاستعمارية، فقدمت الجمعية الإسلامية المسيحية بالقدس مذكرة مؤرخة في 20 أغسطس 1919

إلى حاكم القدس، طلبت فيها: عدم فصل فلسطين عن سوريا بحال من الأحوال، وأن تقوم الدولة المنتدبة في سوريا وفلسطين بالمساعدة فعلاً، فترفض السماح بصيرورة فلسطين وطناً قومياً لليهود، وأن جميع سكان فلسطين بوجه عام لا يمكن أن يقبلوا بهذا المشروع، وهم على استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل مقاومته. ثم قدمت الجمعية عدة مذكرات لمعتدي الحلفاء تطالب بعدم تجزئة البلاد وعدم تمكين الصهيونيين من فلسطين، وعدم المساس باستقلالها.

قد ضربت بريطانيا بعرض الحائط بكل مطالب الوطنيين الفلسطينيين، وسارت في تنفيذ سياستها تجاه فلسطين، فقررت جعل العبرية لغة رسمية في فلسطين، لكي تشارك اللغة العربية والإنجليزية في جميع المخاطبات والمرسلات، بل وضعها على العملة الفلسطينية، وأغدقت الامتيازات على اللجنة الصهيونية وأعضائها. وجاء تصريح الجنرال "بولز" الحاكم العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية يوم 7 يناير 1920 في مدينة نابلس كاشفاً عن السياسة البريطانية تجاه فلسطين، حيث قال: "إن مؤتمر الصلح سيبت في مصير البلاد قريباً بفصل فلسطين عن سوريا، وأنه سيتمح لليهود حق الهجرة إليها".

جاءت هذه التصريحات مخيمة لآمال كل الفلسطينيين، وكشفت عن خداع البريطانيين للعرب، فزادت الحركة المناوئة للبريطانيين والحركة الصهيونية في جميع المدن الفلسطينية، واحتقنت المشاعر، وكانت تصريحات الجنرال "بولز" مدير عام ادارة فلسطين بعد اجتماع لندن (12- 21 فبراير 1920) إلى جريدة مرآة الشرق في 18 فبراير 1920، حيث قال: قد وافق الحلفاء، وفي مقدمتهم أمريكا وفرنسا، على منح شيء لليهود من الحقوق في فلسطين، ووافقت أيضاً على ما قام به المستر بلفور (يقصد وعد بلفور) وهو أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود، بشرط أن لا تمس مصالح الوطنيين الدينية والمدنية والسياسية بشيء". الشرارة التي فجرت البلاد في مظاهرات معادية للحركة الصهيونية، ففي يوم الجمعة 27 فبراير/ شباط قامت

مظاهرة في القدس اشترك فيها ما يزيد عن 40 ألف مواطن، وتوسعت في يافا وحييفا. وأندرت السلطات العسكرية البريطانية بقولها "لا تستهينوا بنا، واعلموا أن إرادة الشعب من إرادة الله، وأن البعوضة تدمي مقلة الأسد"، وقدمت الجمعية الاسلامية المسيحية احتجاجاً إلى اللجنة الأمريكية أكدت فيه على جميع مطالب الفلسطينيين، وهي استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية من طوروس إلى رفح، وعدم فصل فلسطين عنها، ورفض الهجرة الصهيونية، وأشارت أن الفلسطينيين على استعداد تام لمقاومتها إلى آخر رفق من حياتهم.

وقد بدأت سلطات الاحتلال البريطاني اجراءاتها التعسفية بحق الفلاح الفلسطيني، حيث وضعت الفلاح العربي الفلسطيني تحت وطأة الضرائب المتراكمة عليه منذ أواخر العهد العثماني ونهاية الحرب العالمية الأولى بعد أن أصرت سلطات الاحتلال البريطاني على جمعها بكاملها. ويتضح مدى الجور في هذا الوضع إذا علم أن متوسط الدخل السنوي للفلاح العربي الفلسطيني كان يبلغ عندئذ نحو 26 جنيهاً، وكان عليه دفع نحو ستة جنيهاً منها ضرائب للحكومة. ورفضت الحكومة في الوقت نفسه إنشاء مصرف زراعي لإقراض الفلاحين العرب، مما أوقع الفلاح العربي فريسة للمرابين الذين كانوا يتقاضون على ديونهم للفلاحين فائدة تراوح بين 30 و50%.

أما متقفو عرب فلسطين فقد تزايد سخطهم بسبب تقلد البريطانيين والمستعمرين الصهيونيين للوظائف العليا في البلاد، وحصر العرب في الوظائف الصغرى، بالإضافة إلى معارضتهم سياسة الاحتلال التعليمية الرامية إلى تقليص عدد المتعلمين العرب إلى ما يكفي لسد حاجة سلطات الاحتلال بالموظفين لإدارة البلاد، وتيسير استغلال وامتصاص مواردها لصالح الاستعمار والصهيونية. في حين أغدقت هذه السلطات الاعتمادات المالية الكبيرة لتدعم أوساط المستعمرين الصهيونيين.

وهناك عوامل أخرى محلية وخارجية كانت أيضاً من أسباب إلهاب الحماسة الوطنية للجماهير الفلسطينية كمنع السلطات البريطانية المؤتمر الفلسطيني من عقد

دورته الثانية في شباط 1920، واعتلاء فيصل بن الحسين العرش في سورية، وقرار مجلس النواب التركي في كانون الثاني 1920 القاضي بضرورة منح الولايات العربية حق تقرير المصير، ونمو الحركة الثورية في مصر والسودان وسورية ولبنان والعراق والمغرب.

وأخذت بعض مظاهر العنف ضد الاستيطان الاستعماري الصهيوني تبرز في الجانب العربي، ومن أمثلة ذلك هجوم جماعات وطنية في شهر آذار 1920 على مستعمرتي تل حي والمطلة في منطقة الحولة أسفر عن مقتل النقيب الصهيوني جوزيف تروميلدور وستة صهيونيين آخرين. ومن أمثلة ذلك أيضاً الهجومان اللذان قامت بهما، في شهر نيسان 1920، قبائل عربية عبر الأردن، وحاصرت فيهما مستعمرات صهيونية محاطة بأسلاك شائكة. كما هوجمت في الوقت ذاته الحاميات البريطانية في سمخ وبيسان، وعطلت المواصلات البرقية والهاتفية، مما دفع القيادة العسكرية البريطانية إلى إرسال نجدات بالقطارات، وإلى قصف المهاجرين بالطائرات. ونتيجة للضغوط التي واجهتها السلطات البريطانية من الحركة الصهيونية، فقد صدر أمر في الحادي عشر من آذار عام 1920 بحظر القيام بالتظاهرات، وهو إجراء زاد من حدة الاستياء العام لدى العرب. ولكن الفلسطينيين في القدس واصلوا مقاومتهم للمخططات الاستعمارية البريطانية والصهيونية، وذلك بالمظاهرات والاحتجاجات رغم وقوف القوات البريطانية في وجوههم ورفع السلاح مما أدى إلى سقوط شهداء وجرحى، واعتقال آخرين وزج بهم في غياهب السجون. وكانت ثورة القدس عام 1920 من أولى الثورات الدموية التي خاضها الفلسطينيون المقدسيون دفاعاً عن حقهم في الوجود، وعبرت بشكل قوي عن غضب الشعب الفلسطيني ومعارضته للمشروع الصهيوني. وأكدت على وحدة أبناء الشعب الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين، من خلال مشاركتهم في احتفالات المسلمين، وبالتالي مشاركة

المسلمين لهم في احتفالاتهم، وخرجهم في المظاهرات مرددين الهتافات المطالبة بالوحدة والاستقلال ورفض الهجرة اليهودية.

لم تهدأ الأحوال في فلسطين فقد تجددت المواجهات بعد ذلك في أحداث ومواجهات كثيرة، كانت أبرزها ثورة الـ1921 في يافا، وتبعتها ثورة البراق في القدس عام 1929، وانتفاضة الـ1933، ثم جاءت الثورة الكبرى في العام 1936.

ورغم ما حدث في ثورة القدس 1920 من اجراءات ضد المشاركين من قادة وأفراد، إلا أن الفلسطينيين واصلوا الاحتفال بهذا الموسم كل عام. في الاحتفال الذي جرى في 15 نيسان 1936 كانت الجموع المحتشدة في المسجد الأقصى تردد الأهازيج الثورية والمدائح الدينية وتعلي من قولها:

عَ الصّفين ع الصّفين أحمد يا كحيل العين
أحمد خاطبه ربّه وكانت ليلة الاثنين

.....

يا زوّار موسى سيروا بالتهليل
وزرنا النبي موسى وعقبال الخليل
يا زوّار موسى طحتوا سالمين
يا زوّار موسى تردوا سالمين

في تلك الأثناء وبينما كانت الجموع في ذروة حماسها في يوم الجمعة الثانية من نيسان في برية القدس، كان أربعة فلسطينيين على رأسهم الشيخ فرحان السعدي يُجيبون صدى صوت: "مدد يا أولياء الله" ويكتبون صفحة جديدة في سجل الموسم الديني ذو الطابع العسكري في منشئه وسبب ابتداعه.

كان ذلك على الطريق العام بين نابلس - طولكرم على مقربةٍ من نور شمس، حيث كانت الرصاصات الأولى تشق طريقها مُعلنة بدء مرحلة من الكفاح والنضال

عُرفت لاحقاً باسم الثورة الفلسطينية الكبرى، واستمرت حتى نهاية العام 1939، وقد سارعت الجموع الشعبية في المدن والأرياف والبقوادي للالتحاق بها. وقد تنبه الاحتلال البريطاني لعلاقة المواسم الدينية الشعبية بتحريك الجموع وحشدها للمعارك، وأن الاحترام الديني لا يكفي لاحتواء المقاومة العربية، لذلك اتخذت اجراءات حذرت فيها من استغلال المواسم الشعبية الدينية لإحداث اضطرابات، كما اعتبرت رفع الأعلام خطراً لأن رفعها كان يحرك الجماهير ويهيجها، لذا اعتبرتھا رموزاً خطيرة لأنها تثير العواطف الوطنية والدينية. ولأجل ذلك منعت الاحتفال بموسم النبي موسى وأوقفته تماماً في سنة 1937.

اندلاع ثورة القدس 1920

كان الفلسطينيون يحتفلون في كل عام في فصل الربيع بموسم النبي موسى بالقدس، ولكن هذا العام 1920 كانت النفوس العربية مشحونة بما يسموه عن المخططات الصهيونية، لذا لم تحتمل الجماهير المحتشدة في الموسم اهانات رجال وعناصر الصهيونية لرموزهم الدينية.

يبدأ الاحتفال عملياً من ساحات الحرم القدسي الشريف ثم ينطلق لمقام النبي موسى باتجاه أريحا، كما ذكرنا، وفي هذه المناسبة يحتشد أبناء الوطن من كل المدن والقرى في القدس للاحتفاء بهذه المناسبة حاملين الرايات والديارق المحلية ويهللون وينشدون الأناشيد الوطنية والدينية، وبعد أن يكتمل التجمع يتجه الحشد إلى مكان الاحتفال.

في يوم الأحد الموافق الرابع من نيسان/ إبريل عام 1920، وعند وصول مسيرة وفد الخليل، منعت قوات الاحتلال البريطاني وفد الخليل من دخول القدس للمشاركة في الاحتفال، فهرع أبناء القدس ونابلس متحديين سلطات الاحتلال لاستقبالهم، وشارك في الاستقبال أبناء الطوائف المسيحية، وهتف الجميع ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية مطالبين بالوحدة العربية والاستقلال.

يقول خليل بيدس في وصف الحشود: "كان اليوم الرابع من نيسان يوم قدوم موكب الخليل إلى القدس للاحتفال بعيد النبي موسى وهو العيد التاريخي الكبير الذي يحتفل به المسلمون في فلسطين عامة ويشاركهم فيه المسيحيون، وخصوصاً في هذه السنين الأخيرة التي تجلت فيها روح الوطنية وزالت عوامل التفريق بين المذاهب.

ووجدنا مع من وجد في ساحة باب الخليل في القدس حيث كانت الألوف المؤلفة من أهل الخليل ونابلس والقدس، وكانت الجماهير في أحسن مظاهر السرور والبهجة تسير وراء أعلامها وتهزج بأهازيجها المعتادة، وقد امتلأت السطوح والشرفات والطرق بالنساء والأولاد والشيوخ من جميع الطبقات والمذاهب. كانت تلك الساحة العظيمة تعج عجباً بالخلائق ولم يكن فيها إلا نفر قليل من رجال الشرطة والدرك".

وقد تمكن وفد الخليل من اجتاز بوابة يافا (الخليل)، حيث كان هذا اليوم يصادف عيد الفصح لدى النصارى والأعياد لدى اليهود، وموسم النبي موسى لدى المسلمين، وأثناء مسيرة الجماهير التي توقفت أكثر من مرة للاستماع إلى خطب حماسية وسياسية ألقاها كل من موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس، والحاج أمين الحسيني، وعارف العارف، وخليل بيدس، وعبد الفتاح درويش وغيرهم من الشخصيات العربية البارزة، الذين كانوا متواجدين على شرفة النادي العربي بالقدس⁽³⁾.

يقول خليل بيدس: "كان رئيس البلدية الشهم الوطني الكبير موسى كاظم باشا الحسيني واقفاً على شرفة البلدية يحيي تلك الجماهير ثم اندفع يخطب فيها مرحباً ومهنئاً ويتلوا عليها من نصائحه المشهورة، والجماهير تقابل كل كلمة من كلماته بالهتاف والدعاء. ولما فرغ عقبناه نحن بالكلام ففهننا بخطاب ترحيبي استطرنا الكلام فيه إلى تاريخ العيد وتهنئة الأمة به وحثها على التضامن والاتحاد في خدمة الوطن، إلى غير ذلك من الكلام الذي يوافق المقام. وتقدم بعدنا صديقنا الفاضل الوجيه عبد الفتاح أفندي درويش أحد شيوخ عشيرة بني حسن وتكلم في الموضوع نفسه. وتلاه الحاج أمين الحسيني فأظهر صورة الملك فيصل ودعا الجماهير إلى تحيتها. وكان رصيفنا عارف أفندي العارف قبل وصول الجماهير إلى موقفها في ساحة باب الخليل قد استقبلها في أول الساحة بخطاب حماسي ترحابي لم يخرج عن المألوف في مثل هذه المواسم والأحوال".

وبلغت المسيرة ذروتها حين رفعت الجماهير الأعلام العربية وصورة الأمير فيصل بوصفه ملكاً على سوريا وفلسطين، وكانت الأعصاب قد وصلت في الموقف إلى أعلى درجات الانفعال.

(3) تأسس هذا النادي العربي في يونيو 1918، وقام على تأسيسه كل من الحاج أمين الحسيني، ومحمد العفيفي، والشيخ يوسف ياسين، والشيخ حسن أبو السعود، وإبراهيم سعيد الحسيني، وكان من أهدافه: حفظ كيان البلاد من كل دعاية غاشمة، وأن الأمة لا يمكن أن تحفظ استقلالها إلا بسيف ماض ومال فياض وعلم يهذب الأخلاق والنفوس، وكان له فروع في يافا ونابلس.

وفي أثناء هذا الهيجان، وخلال اجتياز الموكب باب يافا في القدس، وقع انفجار عبارة عن لغم وضع في طريق الموكب من اليهود الذي كانوا يشاهدون الموكب وهم في حالة استنزاز، وأدى الانفجار إلى سقوط عدد من الشهداء والجرحى. يصف خليل بيدس الموقف قائلاً: "وما وصلت الجماهير إلى باب الخليل حتى وقعت الفتنة ونشب القتال بين العرب واليهود، وكان السبب اليهود أنفسهم بما أظهره بعضهم في تلك الجهة من الصلف والازدراء، وما هي إلا لحظة حتى انتشر الذعر في المدينة كلها ووقع ما لم يكن في الحسبان".

ومما زاد في تأجيج روح المواجهة بين الطرفين العربي واليهودي حينما بصق أحد الصهيونيين على علم إبراهيم الخليل (علم الخليل)، وحينما تقدم الصهيوني (كريم بن مندل) محاولاً خطف العلم العربي وتمزيقه، فانقض عليه الرجال وقتلوه، ثم جاء صهيوني آخر مع عدد من الجنود البريطانيين لإنزال العلم العربي فقتله الرجال الغاضبين، واندلعت على إثرها معركة بين الفلسطينيين من جهة وبين الجنود البريطانيين وأفراد العصابات الصهيونية من جهة أخرى. وقذفت الحوانيت اليهودية المجاورة بالحجارة، وأطلق اليهود المسلحون النار باتجاه العرب بقيادة فلاديمير جابوتنسكي⁽⁴⁾، واشتبك الطرفان في أعمال عنف دموية استمرت ثلاثة أيام، وبشكل متقطع إلى العاشر من نيسان.

(4) عينه حاييم وايزمن في 8 يناير 1919 ضمن هيئة الخبراء والمستشارين التابعين للمنظمة الصهيونية، مع بقائه ضابطاً في الجيش البريطاني. وكلفه بإنشاء جيش يهودي بموافقة السلطات البريطانية.



يقول خليل بيدس عما شاهده في هذا الموقف: "كان بضع مئات من اليهود والصهيونيين تسير مع تلك الجماهير بعضهم للفرجة وبعضهم لغايات أخرى لم يلبث الأمر أن كشفها. وكنا قد نبهنا خاطر الحكومة في المظاهرات الوطنية السابقة إلى منع اليهود من الاحتكاك بالمظاهرات الوطنية خوفاً من سوء العاقبة، وقلنا لها رسمياً أن الوطنيين لا يتدخلون في المظاهرات اليهودية، وأما اليهود فلا يدعون مظاهرة من مظاهراتنا إلا تصدوا لها وتدخلوا فيها، ولاريب أنهم بتغلغلهم بين صفوف المتظاهرين وبما يبدو عليهم أكثر الأحيان من علامات الازدراء والتهكم إنما يقصدون التحرش بنا كأنهم يدعوننا إلى النزال بأفصح مقال. وكانت الحكومة تعدنا المرة بعد المرة بمنع مثل ذلك وتهتم للأمر، إلى أن كان ذلك الاحتفال وكان من اليهود حول تلك الجماهير وبينها نحو الأربعمئة بشهادة مدير البوليس نفسه".

وبلغ مجموع القتلى والجرحى حسب بيان السلطات البريطانية في هذه الثورة كما نشرته جريدة مرآة الشرق⁽⁵⁾: "أربعة شهداء من العرب قتلوا بالرصاص، وخمسة من اليهود. وعدد المصابين بجروح خطيرة فهم مسلمان، ومسيحيان، وثمانية يهودياً. أما عدد المصابين بجروح خفيفة فهم سبعة من الجنود البريطانيين، وتسعة وعشرين

(5) جريدة مرآة الشرق، القدس، 21 نيسان 1920

مسلماً، ومائة وثلاث وتسعين يهودياً. ومعظمها تسببت عن هجمات العرب بالخناجر والعصي والحجارة، بالإضافة إلى 105 من المعتقلين".

إن شهادة خليل بيدس تؤكد على الدور اليهودي الصهيوني في أحداث الفتنة، والاعتداء على المحتقلين، مما دفع العرب إلى الرد عليهم والدفاع عن أنفسهم. ومما يؤكد هذا الكلام ما صرح به "الياس جنزبورغ" أحد رفاق جابوتنسكي: قبل بضعة أيام من موسم النبي موسى أجرت (فرق الدفاع عن النفس - هكذا اسمها) مناورات عسكرية منتظمة عند سفح جبل الزيتون وعلى منحدراته، حيث يقوم مقر الحكومة، ولقد تابع الضباط البريطانيون حركتنا من خلف المنظار".

وقد أشار اميل الغوري في كتابه (المؤامرة الكبرى ..) إلى التشكيلات العسكرية الصهيونية في فلسطين، قائلاً: "في ظهر يوم الأحد الواقع في 4 نيسان من ذلك العام 1920، وبعد أن هدأت الاضطرابات التي وقعت في صباحه، وقف أمام أسوار بيت المقدس جيش لجب من الصهيوينيين المسلحين بأنواع الأسلحة، وحاولوا اقتحام المدينة العربية القديمة لولا أن ردتهم القوة العسكرية البريطانية، وحالت دون غضب العرب ودونه. وعرف أن ذلك الجيش كان مؤلفاً من بقايا الفرقة العسكرية اليهودية (الفيلق اليهودي) التي كانت تعمل مع الجيش البريطاني في أثناء الحرب الماضية (الحرب العالمية الأولى)، ومن الشباب الصهيوينيين الاصلاحيين، وكان على رأس ذلك الجيش الزعيم الصهيوني الاصلاحى فلاديمير جابوتنسكي".

وقد أشار خليل السكاكيني في مذكراته إلى ما شاهده بأمر عينه حول تسليح اليهود، يقول: "ذهبت إلى حديقة البلدية ونفسي مشمئزة منقبضة من جنون البشر، ونحن هناك رأينا شبان اليهود يتجمعون أمام الحديقة، فكلما كثر عددهم وقفوا أربعة أربعة في صف طويل وفي أيديهم العصي، ثم صاح فيهم زعيمهم فجعلوا يمشون وهم يغنون".

إن ما حدث في موسم النبي موسى في ذلك العام، إنما حدث في ظل التوتر العام الذي كان يسود البلاد إثر صدور وعد بلفور الذي دعا لإقامة وطن يهودي في فلسطين، وفي ظل الادارة العسكرية البريطانية التي كانت لديها تعليمات بالتعاون مع المؤسسات اليهودية في سبيل تنفيذ المخططات الصهيونية. وفي مثل تلك الظروف كان من الطبيعي أن تنعكس في احتفالات جماهيرية كاحتفال النبي موسى مشاعر الجماهير الساخطة على المؤامرة البريطانية الصهيونية، وبذلك غدت هذه الاحتفالات مرآة صادقة للتضامن الوطني، ورد فعل طبيعي على مخططات تهويد وطنهم.

صدي الثورة في الصحافة وتباين الروايات

لقد اعتبرت الصحافة الفلسطينية أن ما حدث في القدس هو فتنة، وذلك ترديداً لما قاله بيان الحكومة البريطانية هي فتنة بين العرب واليهود.

= كتبت جريدة مرآة الشرق⁽⁶⁾ مقال افتتاحيتها بعنوان "القدس قبل ألفي سنة" تقارن فيه بين ما كان يفعله الرومان أيام الفصح في القدس قبل ألفي سنة، وما فعله اليهود والجنود البريطانيون في أهالي القدس يوم عيد الفصح وأسبوع المواسم (يقصد موسم النبي موسى)، جاء في المقال: "لم يكن يمر ببالي أن التاريخ اليوم يعيد نفسه، ويزكرنا بما كان يحدث في تلك العصور الخوالي، حتى حدث ما حدث يوم عيد الفصح وأسبوع المواسم، فرأيت جنوداً تجول في الأزقة والشوارع، والعيارات النارية تطلق على الداهيين والآتين، والنساء يولولن وهن خائفات مذعورات، والقنلى مطروحة في الشوارع، والجرحى تنن وهي محمولة إلى المستشفيات، والبريء والمذنب يساقان إلى السجن، وأبواب المدينة تغلق، والتجوال محظور على الناس بعد الساعة السادسة، فانقلبت الأفراح والمسرات إلى ويلات، وتبدلت مدينة السلام بمدينة النزاع والخصام، ففارقتها تلك السكنينة التي رفررت على ربوعها قرناً طويلاً".

= وكتبت جريدة القدس الشريف⁽⁷⁾ قائلة: "إن الأسبوع الماضي هو أسبوع أعياد عند عموم الطوائف من اسلامية ومسيحية ويهودية، ولقد انقضى الأسبوع المذكور على غير عادته في السنين الماضية بسبب الفتنة التي أحدثها اليهود، وكم تكدر المسلمون لخروج علم النبي موسى يوم الخميس الماضي بدون احتفال، ولا استقبال، الأمر الذي لم يحدث مثله منذ عهد الأيوبي صلاح الدين. وكذلك لم يتمكن المسلمون

(6) جريدة مرآة الشرق، القدس، 21 نيسان 1920

(7) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 نيسان 1920

من الاشتراك باحتفالات أعياد إخوانهم المسيحيين، كما أن المسيحيين لم يتمكنوا من الاشتراك باحتفالات أعياد إخوانهم المسلمين".

= ونقلت جريدة القدس الشريف عن جريدة المرأة المصرية قولها عن الثورة: "وليس بدعاً في أن تهتز فلسطين كلها جزءاً لفصلها عن سوريا، وهي منها بمثابة العضو من الجسم، وخوفاً على نفسها من الخطر الصهيوني، وهي تريد بها فلسطين المسلمة والمسيحية، مهددة معه بالموت والانقراض، كما أنه ليس بدعاً في أن يرفع الفلسطينيون صوتهم عالياً للاحتجاج على ما يعدونه طعنة خنجر في كبد وطنهم، فإنهم مشهورون بالغيرة على بلادهم والحماس لقومهم، ولا في التزامهم في مظاهراتهم جانب السكينة والهدوء، فإنهم معروفون بالرزانة والروية، وهم يعلمون أن العنف لا يأتي بفائدة، ولا يزيد الحق قوة لأن الحق قوي بنفسه.

لقد فرضت سلطات الاحتلال البريطاني تعتياً كاملاً على الأحداث بفرض رقابة على الصحف الفلسطينية. وقامت بتسويق روايتها عبر بلاغات أو بيانات للصحافة. ونتيجة للأحكام العرفية، وفرض رقابة شديدة على الصحف في عدم نشر أحداث الثورة، ظهرت رؤى مختلفة لدى الكتاب والباحثين حول أحداث الثورة، ولعبت الأدوات الصهيونية في ترويج أخبار كاذبة ومضللة عن الثورة، سواء من حيث الأحداث أو أعداد القتلى من اليهود.

= ذكرت جريدة القدس الشريف⁽⁸⁾ أن فتنة حدثت في الأسبوع الماضي في بيت المقدس بين العرب واليهود، فأردنا وصف الحادثة ولكن ما كل ما يتمناه المرء يدركه .. تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. ولما أن كنا حُذرنَا من نشر شيء عنها، أحرنا ذلك لبينما يَأزف الوقت وتتضح الحقيقة، فنوافي القراء الكرام بتفصيل الحادثة. وقد

(8) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 نيسان 1920

جاءنا من الحكومة إثر إعلان الأحكام العرفية، وبأمر من الحاكم العسكري بتوقيع الكابتن بولاق: "أمرت ممن قبل الحاكم العسكري أن أوصيكم بلزوم رفع جريدتكم لدائرة المراقبة في مكتب الحاكم العسكري قبل الطبع، وكل مخالفة لهذا الأمر يعاقب عليها". = ونقلت جريدة القدس الشريف عما نشرته جريدة المقطم المصرية من أحداث جاءت من خلال برقية وكالة روتر، تقول: "القدس في ٥ إبريل، جرح مئة وثمانون شخصاً هنا يوم أحد الفصح في أثناء قتال شديد حدث بين حزبين لأسباب لا تزال غامضة، وقد أعاد ولاية الأمور العسكرية النظام. وقد صدر أمر بمنع السفر إلى فلسطين لا براً ولا بحراً، وأعلنت مصلحة سكة الحديد أنها ابتداء من يوم الثلاثاء لا تصرف تذاكر درجة أولى وثانية وثالثة للأهالي إلى القنطرة أو أية محطة من محطات خط فلسطين إلا لمن يكون بيده تصريح من السلطة العسكرية".

إن ما جاء في خبر روتر هو تضليل كبير لما حدث، فقد روجت الخبر كأن ما حدث هو صراع بين حزبين دون معرفة الأسباب، ونشرت أعداد الجرحى دون أن تشير إلى تصنيفهم عرب أم يهود.

= وقد قالت جريدة المقطم المصرية⁽⁹⁾ كما أبلغتها إدارة المطبوعات: حدث صباح ٤ إبريل الحالي (1920) شجار بين بعض العرب واليهود، واستدعت القوة العسكرية فقبضت على ناصية الحال، وكانت المدينة هادئة في الليلة الواقعة بين يومي ٤-٥ من الشهر، ولكن في صباح يوم ٥ (نيسان) ثارت الاضطرابات من جديد، فكان لأبد من بث الجنود في المدينة، وعدد الاصابات هو نحو ١٩٠ من الأهالي بين جريح وقتيل، وبلغ عدد القتلى نحو ١٠ حسب البلاغات غير الرسمية. وقد أعلنت الأحكام العرفية، وفي صباح يوم ٦ (نيسان) حاول فريق من العرب أن يدخل من باب دمشق (المعروف باباب العامود) فأطلقت عليهم النار ولحقتهم

(9) جريدة المقطم، القاهرة، 8 إبريل 1920

اصابات، وتلا ذلك اضطرابات أخرى أثناء الصباح أدت إلى جملة اصابات، وقد اشتعلت النار في بعض المنازل، ولكن الحال في قبضة السلطات كما جاء في البلاغ.

وتعلق المقطم: يؤخذ من هذه الروايات أن أصل الخلاف ليس بين المسلمين واليهود، ولكنه يدور على الصهيونية ونفور العرب منها.

= يوجه مراسل جريدة القدس الشريف في القاهرة رسالة إلى الجريدة في (١١ نيسان ١٩٢٠) يستفسر عن اشاعات تدور عندهم عما حدث في القدس، يقول: شاع نهار أمس في العاصمة أن معارك هائلة حدثت في صدف والقدس، ويقال أن عدد القتلى في صدف ٨٠٠ صهيوني، و ٦٠ وطني، وشاع أيضاً أن عدد القتلى في القدس ١٠٠ صهيوني، ولا ندري صحة هذه الاشاعة. ولقد نشرت صحف العاصمة على علاتها، وبتنا ننتظر بفارغ الصبر أن ترد إلينا جرائدكم أو قادمون من جهاتكم حتى نتحقق منهم الخبر.

ونشرت جريدة الكنانة في عددها أمس أن رسالة أتها والجريدة تحت الطبع، تفيد أن المذابح في بيت المقدس مستمرة، وأن الحاكم العسكري في حيفا أصدر منشوراً قال فيه إن عدد القتلى من اليهود وحدهم بلغ ستة عشر، وعدد الجرحى ٢٥٦، وجاءها من مكاتبها في حيفا أن الحكومة أوقفت رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني، وكامل البديري، وفخري النشاشيبي، وأن الحكومة أمدت الصهيونيين بأسلحة نارية من عندها.

ولقد كثرت الاشاعات عن ما جرى بطرفكم، وأصبح الناس في قلق عظيم يتوقون لمعرفة الحقيقة ليكونوا على نور.

وقد ردت جريدة القدس الشريف على مراسلها في (١٦ نيسان ١٩٢٠) قائلة: "أما المعارك فجرت، وإنما عدد القتلى فهو كما أبلغتنا نهار أول أمس إدارة المراقبة بالضبط بأن تسعة قتلوا، أربعة مسلمين، وخمسة يهود، وستة عشر يهودياً ومسلمان

ومسيحيان جرحوا بجروح خطيرة، و١٩٥ يهودياً، وعشرون مسلماً، وسبعة جنود بريطانيين جرحوا بجروح عادية، هذا هو الاحصاء الرسمي الذي تلقيناه عن عدد القتلى والجرحى. وأما إيقاف رئيس البلدية موسى كاظم الحسيني وفخري النشاشيبي فذلك لا أصل له البتة، ولكن كامل البديري أوقف في أول الحادثة، ثم أطلق سراحه لثبوت براءته.

= وحسب ما جاء في جريدة مرآة الشرق⁽¹⁰⁾ عن الأحداث تقول: كان يوم الأحد الماضي الواقع في ٤ نيسان موعد مرور موكب جبل الخليل من القدس إلى النبي موسى لأداء مراسم العيد، فخرج موكب كبير من القدس لاستقبالهم حسب العادة المألوفة، وفي أثناء مرورهم أمام المجلس البلدي وقع خصام بين العرب واليهود، فمما الخبر إلى الحكومة، فبادرت إلى أخذ الاحتياطات اللازمة، وأعلنت الإدارة العرفية، ومنعت التجول في الطرق داخل السور وخارجه بين الساعة السادسة مساءً والسادسة صباحاً، وفي يوم الاثنين والثلاثاء حدثت مناوشات خفيفة بين الطرفين، وفي يوم الأربعاء سكنت الحركة، وصار الدخول إلى المدينة والخروج منها مباحين بعد أن كانا ممنوعين مدة الحركة.

وقد استعمل اليهود السلاح في أثناء المناوشة، وكان بعض أفراد من الجند اليهود حضروا إلى العيد مأذونين، فتدخلوا واشتركوا في المناوشة، فاضطرت الحكومة إلى ابعادهم.

= ترجمت جريدة القدس الشريف في (٢٠ نيسان ١٩٢٠) ما جاءها عبر البريد من خبر حول الأحداث في "جورنال دوديبيا" الفرنسية، الصادر في ٧ نيسان تحت عنوان مسائل الشرق، جاء فيه: "أبرق من القدس أن معركة دموية جرت في القدس

(10) جريدة مرآة الشرق، القدس، 14 نيسان 1920

بين اليهود والاسلام، ولقد جرح فيها ١٨٨ رجلاً، وأن السلطة العسكرية توسطت في الأمر بشدة".

استمر صدى أحداث الثورة في القدس لأيام عديدة، وذلك جراء الدعاية الصهيونية التي استغلت المناير الاعلامية الغربية كبوق دعاية على اعتبار أنها ضحية.

= وترجمت جريدة القدس الشريف في (٦ أيار ١٩٢٠) أيضاً عن جريدة التيمس اللندنية برقية روتر التي أرسلتها للجريدة من القاهرة عن القتال الذي جرى في القدس مؤخراً، تقول: لم يرد من القدس شيء عن الخبر المجرى الذي نشر أخيراً عن وقوع القتال بين اليهود والمسلمين في ٤ نيسان، مما يدل على أن المراقبة قد أعلنت هناك، ولكن القادمين من القدس يقولون أن القتال قد استؤنف، وأسفر عن عدد من الخسائر. ولا بد من القول أن البلاد كانت تتمخض بالاضطرابات منذ حين، ويقول القادمون أن نغمة الشعور العربي على اليهود لا تكون معروفة في انكلترا، ويظهر أن الأعياد الدينية أوصلت الأمور إلى نهاية، ولم يظهر المسلمون أدنى عداوة للمسيحيين، فعندما التقت مواكب المسيحيين والمسلمين في ٢ نيسان لم تخرج كلمة من فم أحد.

إن احتفال المسلمين بعيد النبي موسى يبقى عدة أيام يأتي المسلمون في خلالها إلى القدس من كل الانحاء، وقد بدأت مواكبهم في ٢ نيسان. ثم إن الجنود الإنكليزية ظهرت خير ظهور وأخمدت الفتنة في الحال، وجعلت الموكب يمر بالإقناع السلمي، إلا أنه وقعت خسائر عديدة في منعطفات المدينة، وجرت مصادمات في كل مكان، ظهرت فيه اليهود الذين قاتلوا بعزم ثابت، وربما كانت خسائر الفريقين متساوية، والنقطت عشر جثث، ولكن عدد القتلى والجرحى الحقيقيين لم يعرف بعد.

وتعلق القدس الشريف على الخبر قائلة: هذه هي برقية روتر فلا حاجة إلى القول أن فيها كثير من التضليل، فواقعة القدس لم تعد مجهولة عند أحد، ولعل خير

مصدر يستطيع الإنكليز أن يتكلموا عليه في جلاء حقيقة الحادثة هو تقرير مفتش البوليس الإنكليزي في القدس.

= يقدم خليل السكاكيني روايته للأحداث بصفته شاهد عيان للأحداث حيث كان متواجداً في المكان لرؤية الموكب على شرفة محل اليهودي "التر ليفين". ووفقاً لرواية السكاكيني التي سجلها في مذكراته (الكتاب الثالث - نقلها بتصريف) فقد "سارت جميع الوفود الفلسطينية عند مقر النادي العربي، وأخذ الخطباء يتناوبون الخطابة من على شرفة النادي وكان من بينهم خليل بيدس وعبد الفتاح درويش من المالحة، وخلال ذلك وقع اضطراب في الموكب وأخذ الناس يتراكمون وكانت الحجارة تتساقط على اليهود، ثم سار الموكب من باب الخليل نحو المدينة وأخذ الجموع بتكسير زجاج المخازن اليهودية، وكانوا يصيحون "دين محمد قام بالسيف"، وحاول مساعد البوليس البريطاني توقيفهم فهجموا عليه وأخذوا بعنان فرسه ولو لم تحتطه فرسان البوليس لكانوا ضربه، بل رأيت واحداً ضربه بحجر فلم يصبه...".

إن ما يرويهِ السكاكيني هي شهادة شاهد رأى الأحداث من زاوية محددة، ولم ير المشهد كاملاً، ولم يكتب عن الأحداث لاحقاً، بل اكتفى بما شاهده يوم 4 نيسان، لذا تبقى شهادته ناقصة.

= يذكر كامل خلة في كتابه (فلسطين والانتداب البريطاني) بعد لقائه مع "عبد الرحمن علي" أحد رفاق الحاج أمين الحسيني بتاريخ 23 أكتوبر 1971 وسؤاله عن أحداث الثورة، قال: "كان أهالي نابلس يدخلون القدس من باب العمود يوم الخميس، ويوم الأحد التالي كان يدخل أهالي الخليل من باب الخليل، ثم يلتقون مع بقية الأهالي في المسجد الأقصى يوم الجمعة، ويتوجهون إلى النبي موسى. وحصل أن منعت الشرطة أهالي الخليل من الدخول، فقام عبد اللطيف أبو سنينة الشهير بأبي الشعر وضرب أحد رجال الشرطة بالسيف، وبعدها داهمت جماهير الخليل الباب،

وبدأت الاشتباكات مع اليهود لمدة ثلاثة أيام، ويلاحظ أن الاصطدامات لم تكن مدبرة على الأقل من جانب العرب، وكان نشيد المحتفلين:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان

= وكتب عيسى السفري في كتابه (فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية) حول أحداث الثورة وكيفية اندلاعها، فقال: "هرع المقدسيون يوم الأحد في 4 نيسان/ابريل 1920 حسب عاداتهم لاستقبال أهل الخليل الذين يؤمنون القدس في مثل هذا اليوم من كل سنة، قاصدين زيارة مقام النبي موسى، فكان الاستقبال عظيماً جداً، اشترك فيه أبناء القدس وقراها، وأبناء نابلس ووفود البادية والطوائف المسيحية المختلفة، ينادون بالوحدة العربية والاستقلال ورفض الهجرة الصهيونية والدعاء للملك فيصل، وخطب في الجماهير بعض الشبان المتحمسين ... فألهبوا شعور المتظاهرين وبخاصة حينما رفعت صورة الملك فيصل ووضعت بجانب علم الخليل، وصادف مرور بعض اليهود بين الشعب الصاحب، فهاجت الأفكار، واحتدمت نيران الفتنة بين الطرفين، فقتل منهما عدد ليس قليل، وظلت الحالة مضطربة حتى المساء".

= ويذكر أحمد الشقيري في كتابه (أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية) عن تحرش اليهود بالأهالي، يقول: "إن الناس كانوا يتحدثون عن الثورة العربية القدس بمناسبة الاحتفال بموسم النبي موسى حين تحرش اليهود بالمسيرة العربية، وحاولوا انتزاع العلم العربي من أيدي الشباب، ووقعت معارك دامية كانت القوات البريطانية فيها إلى جانب اليهود".

= تروي فرنسيس إميلي نيوتن في كتابها (خمسون عاماً في فلسطين) ما حدث يوم 4 نيسان 1920 في القدس، تقول: "سار الموكب كعادته المعهودة في طريقه المرسومة بأهازيجه وأناشيده، وفي ثنايا الراقصون، وفي الطليعة كوكبة من فرسان البوليس، وكالعادة وقف المتخرجون في الطرقات، وأطلوا من الشرفات والجو صفاء، والأعلام ترفرف في الهواء، وكان بين الواقفين للمشاهدة يهودي وقعت منه بادرة

اشتمتاز وازدراء، وقيل لأنه بصق صوب علم من تلك الأعلام العربية المقدسة، وبالطبع انهال عليه المتواكبون فما رحموه، تلك كانت الشرارة في الهشيم، تدخل اليهود فاشتد الاشتباك، وعم الاضطراب، فدعي الجند لمعاونة الشرطة، وأقفلت أبواب المدينة ومدخلها، وقيد الخروج والدخول مدة أيام ثلاثة أو أربعة".

رغم تعدد الروايات التي نسجت حول أحداث ثورة العشرين، والكافية التي اشتعلت بها الأحداث، يبقى كل رأي يقدم صورة من جوانب الثورة، أو من زاوية الرؤية التي شاهد بها الأحداث، وتبقى في رأينا الصورة التي قدمها خليل بيدس هي الأقرب إلى الحقيقة، فقد كان شاهداً على الأحداث من زاوية مختلفة عن الآخرين، إذ كان على شرفة النادي العربي، وبعد نزوله بين الجماهير شاهد ما كانت تفعله القوات البريطانية بالناس في محاولة للتضييق عليهم.

يقول بيدس: "وسارت الجماهير بعد الخطب جهة جمعية المنتدى الأدبي الواقع منزلها في طريق مأمّن الله. ولكن الجماهير ما كادت تقطع من طريقها نحو مئة وعشرين خطوة حتى أرجعها رجال الدرك لسبب لا يزال مجهولاً حتى الآن، ولا يخفى ما حصل وقتئذ من الازدحام والاضطراب في رجوع تلك الجماهير لأن بعضها كان راجعاً والبعض الآخر ذاهباً، فكانت أشبه بالبحر في شدة اضطرابه. ولما وصلت إلى ساحة باب الخليل حيث كانت أولاً - ولم تكن تعرف إلى أين يريد أن يقودها رجال الدرك - سار فريق كبير منها في طريق يافا، فعاد رجال الدرك وأرجعوه. ومعلوم أن طريق يافا وطريق مأمّن الله طريقان رحبتان تؤديان إلى باب العمود ومنه إلى الحرم الشريف. وسار رجال الدرك بعد ذلك بتلك الجماهير في طريق السوق وهي طريق ضيقة لم نعلم حتى الآن السر من سوق تلك الألوف في مثل هذه الطريق مع وجود ما هو أرحب منها وأبعد عن مواطن الازدحام.

وكان بضع مئات من اليهود والصهيونيين تسير مع تلك الجماهير بعضهم للفرجة وبعضهم لغايات أخرى لم يلبث الأمر أن كشفها. وكنا قد نبهنا خاطر الحكومة في المظاهرات الوطنية السابقة إلى منع اليهود من الاحتكاك بالمظاهرات الوطنية خوفاً من سوء العاقبة، وقلنا لها رسمياً أن الوطنيين لا يتداخلون في المظاهرات اليهودية، وأما اليهود فلا يدعون مظاهرة من مظاهراتنا إلا تصدوا لها وتداخلوا فيها، ولاريب أنهم بتغلغلهم بين صفوف المتظاهرين وبما يبدو

عليهم أكثر الأحيان من علامات الازدراء والتهكم إنما يقصدون التحرش بنا كأنهم يدعوننا إلى النزال بأفصح مقال. وكانت الحكومة تعدنا المرة بعد المرة بمنع مثل ذلك وتهتم للأمر، إلى أن كان ذلك الاحتفال وكان من اليهود حول تلك الجماهير وبينها نحو الأربعمئة بشهادة مدير البوليس نفسه.

وما وصلت الجماهير إلى باب الخليل حتى وقعت الفتنة ونشب القتال بين العرب واليهود، وكان السبب اليهود أنفسهم بما أظهره بعضهم في تلك الجهة من الصلف والازدراء، وما هي إلا لحظة حتى انتشر الذعر في المدينة كلها ووقع ما لم يكن في الحسبان. فأرسلت الحكومة قوة عسكرية لضبط الحالة وأقفلت أبواب المدينة وبثت رجال الدرك في كل مكان، وأعلنت الأحكام العرفية وأقامت المدافع الرشاشة في جميع الساحات ومعاطف الطرق. واستمر هذا الاضطراب يومين آخرين ثم استتب الأمن وعادت السكينة إلى مجراها، وقد صرع وجرح في هذه الفتنة بضعة عشرات من الفريقين، وأحرقت بعض المنازل ونهبت بعض المخازن".

تداعيات الثورة .. وعنف السلطات البريطانية

بعد أحداث الثورة تداعى وجهاء وأعيان القدس وشبابها من مسلمين ومسيحيين للاجتماع يوم الثلاثاء 6 نيسان 1920 لمناقشة الأحداث، ورفع مذكرة احتجاج إلى المدير العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية الجنرال "بولز"، ولجميع معتمدي دول الحلفاء. تشرح أسباب اندلاع الثورة وتداعياتها ومطالبهم من الحكومة. وقد نشرت جريدة القدس الشريف⁽¹¹⁾ نص المذكرة كالتالي:

”لسعادة المدير العام لبلاد العدو المحتلة:

قد مضى ستمائة سنة ليومنا هذا والمسلمون في جميع الأقطار يأتون لزيارة النبي موسى حسب عوائد ومراسم معروفة. ففي يوم الأحد الواقع في 4 نيسان سنة 1920 حسب العوائد خرج أهالي القدس لملاقاة وفود الخليل التي عوائدها أن تحضر في مثل هذا اليوم لتشارك بالمراسم الدينية المطلوبة منها، وبينما هم في موكبهم الديني فاجأهم بعض أفراد من اليهود بالثتم والسب وتحقير شعائرهم الدينية، مما أدى ذلك إلى قتل جماعة من المسلمين والمسيحيين الأبرياء بينهم النساء والأولاد، ومما أدى إلى إعلان إدارة (أحكام) عرفية في مدينة القدس، الشيء الذي لم يسمع بمثله في ماضيه من الأزمان، وقد تبين لنا بعد التدقيق أن الأسباب التي أوجبت هذه الفتنة هي:

1- إن الجمعية الصهيونية التي هي مؤلفة من أعضاء أكثرهم من الروس والأمريكان والألمان والمتشعبة أفكارهم ونفوسهم من الأفكار الثورية، دبرت هذا التدبير لكي تشيع في الجرائد الأجنبية مظالم كاذبة حدثت لليهود ويطلبون الشفقة عليهم، ولكي يمكنهم من جمع الدراهم التي يستطيعون بها على تنفيذ مقاصدهم الشيطانية.

(11) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 نيسان 1920

2- إن الجمعية الصهيونية تدرب أبناء اليهود على التعليم العسكري، وقد ظهر ذلك بأجلى بيان لما نزلوا مصطفىين ومسلحين بالأسلحة النارية وغيرها، الأمر الذي لم يظهر منه شيء عند المسلمين والمسيحيين.

3- إن الجمعية المذكورة التي هي بمثابة حكومة داخل حكومة قدمت الأسلحة وغيرها لأفرادها، وبسبب ذلك قتل كثير من المسلمين والمسيحيين بالأسلحة النارية.

4- إن الحكومة المحتلة كان قد جمعت جميع السلاح من كافة المسلمين والمسيحيين حتى أصبحوا عزل، وأما هذا القانون فلم يطبق على اليهود بصورة ما كما ظهر جلياً لديكم ولدى الجميع.

5- إن الحكومة البريطانية كانت قد جندت بعضاً من أفراد اليهود في جيشها، وهؤلاء قد أخلوا بوظيفتهم وكانوا سبباً لإلقاء الفتن والقتل، وقد جرت التشنجات في المحلات التي وجدت فيها كيافا واللد والرملة.

6- كنا قد نبهنا الحكومة الحاضرة للعادة المطردة في مثل هذه الظروف، وطلبنا إليها أن تضع حامية في البلدة حتى لم يحدث ما حدث، فلم تجب طلبنا. فعليه نرفع شكوانا لسعادتكم، ونطلب تطبيق المواد الآتية حفظاً على أرواحنا وأملاكنا، وحفظاً للأمن العام:

1- نطلب إخراج جميع أفراد اليهود المتجندين في الجيش وإبعادهم عن فلسطين، واسترداد جميع الأسلحة التي سلمت إليهم، مع جمع جميع السلاح الموجود بأيدي اليهود سيما تفتيش المحلات الصهيونية وإخراج ما فيها من الأسلحة والقذائف اليدوية وغيرها.

2- بما أن اليهود هم المسببون لهذه الحادثة نطلب مجازاتهم.

3- إذا لم يكن إخراج الأفراد اليهود من العسكرية من الممكن، فلتجند الحكومة من العرب بالمقابلة ليكون ذلك ترهيباً لليهود، وللمحافظة على المسلمين والمسيحيين.

4- بما أن المسبيين للفتنة ليسوا من المسلمين ولا من المسيحيين، فإيقاف عدة أشخاص منا مغاير للعدل والقانون، فنطلب إخراجهم.

5- بما أن أكثر المجروحين من اليهود، كانوا قد جرحوا أنفسهم لتكثير العدد، فنطلب تشكيل هيئة مختلطة لإجراء الكشف عليهم وعلى قتلانا وجرحانا.

6- إن الهيئة الصهيونية التي هي مركز جميع الحركات الثورية، والتي هي ليست من الذين كانوا قبلاً في البلاد، نطلب إبعادها حسب القانون الصادر عن سعادتكم بإبعاد جميع الذين لم يكونوا قبلاً في فلسطين.

7- إن البلاد والأهالي لا تكون مسؤولة عما يحدث في المستقبل إذا لم تصغ الحكومة لمطالبنا العادلة.

لقد كشفت مذكرة أهالي القدس عن الأسباب التي أدت إلى وقوع الأحداث الدموية، رغم أن العادة في الموسم تسير منذ سنوات طويلة دون أية مشكلة، ولكن الحركة الصهيونية هي التي افتعلت الأحداث لأهداف سياسية، وقد أظهرت الأحداث أن اليهود هم الذين قاموا بها باعتراض الموكب، وهم الذين أطلقوا النار لأنهم وحدهم يمتلكون السلاح الذي أعطتهم إياه الحكومة البريطانية منذ تجندهم في القوات البريطانية، وهم الذين قتلوا النساء والأولاد، وأما الادعاء بارتفاع أعداد الجرحى من اليهود فهذه مكيدة فهم الذين جرحوا أنفسهم لكي يكتسبوا التعاطف معهم، لذا طالب الأهالي بتشكيل لجنة تحقيق في هذا الأمر، وأشارت المذكرة إلى أن الحكومة جمعت السلاح من العرب ولم تجمعها من اليهود. وقد طالبت المذكرة من الحكومة طرد اليهود الذين أطلقوا النار من البلاد، وجمع السلاح من المحلات الصهيونية، وحماية أهالي القدس العزل من الاعتداءات الصهيونية.

وقد أيد مفتي الديار المقدسية كامل الحسيني في صريح لصحيفة الدايلي نيوز ما جاء في مذكرة الاحتجاج قائلاً: "إنه يوافق كل الموافقة على كل ما قدمه الأهلون من الاحتجاجات ضد الصهيونية، وضد تجزئة البلاد، وأن فلسطين عربية، ويجب أن تكون للعرب لا لغيرهم".

وقد عبرت جريدة القدس الشريف⁽¹²⁾ في صورة متباينة لما يفعله الصهيونيون في القدس، وما يفعله العرب، إذ قالت: "اجتمع فريق من الصهيونيين في إحدى جمعياتهم الكائنة أمام قبة الحبش، وجعلوا يخطبون مفتخرين بانتصارهم على ذبح النساء والأطفال من المسلمين والمسيحيين، وكان تصفيقهم يشق عنان السماء". وبينما كانوا يحتفلون بقتل العرب، نجد "الطبيب العربي حسن الخالدي يضمّد جراح مجاريح اليهود بيده، كما أوجبته عليه الإنسانية".

وبعد معاودة اندلاع الأحداث، إذ هاجم بعض الأفراد من اليهود القرى المجاورة للقدس، فدافع العرب عن أنفسهم، فاشتعلت الأحداث مرة أخرى. استغلها المدير العام "بولز" لإظهار القوة البريطانية أمام وجهاء وأعيان القدس، فالمذكرة التي قدموها لم تروق له، ولم تتوافق مع السياسة البريطانية، لذا طالب بجمع زعماء الطوائف في القدس وهم: مفتي الديار المقدسية كامل الحسيني، وموسى كاظم الحسيني، وعارف الدجاني، وفيض الله العلمي، وراغب النشاشيبي عن الطائفة الإسلامية، ويعقوب فراج، وإبراهيم شماس، والياس مشبك، ووديع كتانه، ولطفي أبو صوان من الطائفة المسيحية، وليوي، ويلين، وآخرين من الطائفة اليهودية. في دار الحكومة اجتمع بهم وألقى عليهم الخطاب التالي كما نشرته جريدة مرآة الشرق⁽¹³⁾ قال: "الحالة هادئة منذ أيام، وأخذت الأمور تعود إلى مجاريها، وأنه من البين أن ما مر من الحوادث المكدرّة

(12) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 نيسان 1920

(13) جريدة مرآة الشرق، القدس، 21 نيسان 1920

قد ترك في القلوب آثاراً مرة، لم أستطع بعد أن أقف على من تقع اللائمة في هذه الفتنة، تلك مسألة ستبحث فيها المحاكم، غير أنني أقول أن الطوائف كلها لم تتصرف في القضية كما تقتضيه الإنسانية، ويشير إليه العقل ولا ريب أن ما حدث آخر البلاد التي نحبها.

قد أحضر جميع الذين وقعت عليهم الشبهات إلى المحاكم العسكرية والملكية كأفراد، وإنني لا أقبل قط أن أعتبر المسألة التي وقعت مسألة سياسية، ولذلك فإن جميع من يحاولون أن يعكروا صفاء السلم إن عاجلاً أو آجلاً سيعاقبون من غير ميزة ولا تفرقة في الجنس والمذهب.

قد دعوتكم إلي في هذا اليوم لأبلغكم أن في هذه البلاد حكومة واحدة فقط، وهذه الحكومة هي أنا، وإنني مجهز بقوة عسكرية هائلة تسحق كل من يعكر الأمن، وسأستخدم هذه القوة في المستقبل من دون قيد.

سرت إلى اليوم معكم بلطف وتؤده، لعلمي أنني اشتغل بين قوم لا يعلمون ماذا كانوا يفعلون، فأود أن يقف القوم الآن على الأخطار التي تتهددهم إذا هم يعكرون الأمن، وإنني لهذا دعوتكم إلي أنتم رؤساء الطوائف المختلفة لتخبروا جماعتكم بهذه الأمور.

قد أعطيت لكم الحرية لتبينوا مطالبكم، وأرسل ما كان مهماً إلى المراجع العليا، ولا تزال هذه الحرية مقدمة لكم، وسترون منها اهتماماً واعتناءً بكل ما تقدمونه."

لقد تحدث الجنرال "بولز" بخطاب تهديد ووعيد، وختم كلامه معهم بقوله "القوة تقابل بمثلها". بعد أن شعر باهتزاز هيبة القوات البريطانية وسلطتها أمام أهالي القدس، واتهامها بعدم قدرتها على فرض النظام والقانون، وأن الحركة الصهيونية تمثل دولة داخل الدولة، ودعمهم للحركة الصهيونية وتزويد أفرادها بالسلاح الذي قتل النساء والأطفال، حاول بهذا الخطاب أن يستعيد هيئته وقوته، والتأكيد على سلطته وقدرته قواته على سحق كل من يحاول الاخلال بالنظام.

ورغم أن أحداث ثورة القدس أظهرت مدى التحيز البريطاني تجاه اليهود، إلا أنها أمام الإعلام أظهرت عدالتها في التعامل بالمثل مع اليهود من حيث الاعتقال، وتفتيش منازلهم، ومحاكمتهم. ولكن أكثر أساليب القمع والعنف كانت موجهة نحو العرب. ومن الاجراءات القمعية التي اتخذتها القوات البريطانية ضد أهالي القدس:

= فرضت القوات البريطانية حصاراً كاملاً على القدس، وفق الأحكام العرفية التي أعلنتها داخل القدس وضواحيها لإخماد الثورة في 5 نيسان 1920، وقد نشرت جريدة مرآة الشرق⁽¹⁴⁾ بيان إعلان الأحكام العرفية موقعاً من قائد الجيش البريطاني في فلسطين "اللفتنت كولونيل ب.ل. بيدي"، في 5 نيسان 1920، جاء فيه:

- "تحذر الأهالي أن يكونوا داخل بيوتهم في ما بين الساعة السادسة مساءً، والساعة السادسة صباحاً، ويلقى القبض على كل من خالف ذلك.

- كل شخص في حوزته سلاح يعاقب طبقاً للأحكام العرفية.

- للحاكم العسكري الصلاحية بإعطاء رخص حسب اختياره، كل شخص غير جائز على رخصة أو ليس له ضرورة عسكرية لا يسمح له دخول المدينة (أي داخل السور) والخروج منها.

- ستظل الأحكام العرفية سارية إلى أن يستتب النظام وتعود الحالة إلى طبيعتها الاعتيادية".

= وقد وزعت حكومة الاحتلال جنودها تحت قيادة ضباط بريطانيين لتفتيش البيوت والمحال التجارية والجمعيات بحثاً عن الأسلحة، وقد فتشوا بيت عارف الدجاني رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية، والمنتدى الأدبي، والنادي العربي، فلم يجدوا شيئاً، واستخدمت كل أساليب القمع والتتكيل بحق العرب، كما فتشوا بيوت

(14) جريدة مرآة الشرق، القدس، 14 نيسان 1920

اليهود وزعماء الصهيونية، فوجدوا مقداراً من الأسلحة والذخائر، فصادرتها وجلبت أصحابها للمحاكمة.

= شنت السلطات البريطانية حملة اعتقال واسعة طالمت ما يزيد عن مائة شخص، من بينهم ثلاثة وعشرين شخصية بارزة من شخصيات القدس. واتهمت السلطات كل من الحاج أمين الحسيني، وعارف العارف، وخليل بيدس، والشيخ حسن أبو السعود، وعبد الفتاح درويش، وسعيد درويش، وكامل البديري، وعبد اللطيف الحسيني، وهم الخطباء الذين ألقوا خطابات حماسية بالتحريض على العنف والفتنة، وإثارة الاضطرابات.

= اقتحام بيت المفتي وتفتيشه، ونشرت جريدة القدس الشريف⁽¹⁵⁾ حيثيات اقتحام بيت مفتي القدس، فقالت: "أرادت الحكومة القاء القبض على الحاج أمين الحسيني شقيق فضيلة مفتي الديار القدسية محمد كامل الحسيني بزعم أنه كان من الحائث على ايقاظ الفتنة، فذهب أفراد من الشرطة وفتشت بيت فضيلته، وإذ لم تجد أحداً، فعد ذلك هتكاً لحرمة فضيلته (كيف لا وهو ممثل الطائفة الاسلامية في القدس)، فذهب فضيلته إلى المدير العام (البريطاني) وأعاد له الوسام الذي أنعم به عليه صاحب الجلالة ملك بريطانيا وامبراطور الهند".

= بعد هذا الاجراء التعسفي بحق فضيلة المفتي وانتهاك حرمة بيته، نشرت جريدة القدس الشريف⁽¹⁶⁾ خبراً عن اطلاق النار على بيت المفتي، يقول: "هجم خمسة من جنود اليهود عصر نهار الجمعة على بيت فضيلة مفتي الديار القدسية، فوجدوا أحد أفراد عائلته يتنزه في كرم البيت، فتقدم أحدهم وأطلق رصاصة على الشاب فأخطأته، فتقدم الشاب وهجم على الجندي، وخلص منه المسدس بأن عفر في وجهه

(15) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 نيسان 1920

(16) جريدة القدس الشريف، القدس 30 نيسان 1920

قبضة تراب، ثم ما لبث أن فر الجندي، وتقدم الباقون وجعلوا يضربون برصاصهم على بيت صاحب الفضيلة. وكان المستر سكوت رئيس العدلية في زيارة فضيلته، وقد شاهد الحادثة بأم عينيه، وعلى إثر هذه الحادثة حضر المدير العام (الجنرال بولز) لبيت فضيلته، وأعرب عن أسفه الشديد لوقوع مثل هذه الحادثة في بيت رجل تبجله الإسلامية وتحترمه النصرانية، ووعد أن يعاقب المجرمين أشد عقاب، وأمر في الحال بوضع حرس يقوم على حراسة فضيلة المفتي".

= دفعت الأحداث اليهود إلى الخروج من القدس. ذكرت جريدة القدس الشريف⁽¹⁷⁾: "أن اليهود بدأوا يسافرون بالقطار يومياً هاجرين القدس، ولا ندري إلى أين وجهتهم". ولكن في (16 نيسان 1920) نقلت جريدة القدس الشريف خبراً عن مراسلها في حيفا يقول: "لقد نهضنا صباح اليوم (9 نيسان) وقد ملأ الصهيونيين جدران البلدة بإعلانات طويلة عريضة وبأحرف عبرية كبيرة يحذرون بها اليهود من التعرض للأهليين أو بعمل شيء يكدرهم، وقد أخذ منهم الخوف مأخذه، وقد ورد عدد كبير من اليهود المهاجرين من طرفكم خوفاً من البلاء".

وتعلق الصحيفة قائلة: كنا نظن أن الذين غادروا القدس برحوها ليتركوا فلسطين، غير أن ظننا كان في غير محله، فهم تركوا مكاناً وقصدوا آخر".
= ومن تأثيرات الثورة في البلدان العربية، ذكرت الصحافة "أن المصريين قاموا بمظاهرة يوم شم النسيم تأييداً لمطالب الوطنيين".

= وعقب الاجراءات التي اتخذتها السلطات البريطانية في القدس، أعلنت أنها شكلت لجنة تحقيق في ما سلب ونهب خلال أسبوع الثورة من الأهليين.
= كما أعلنت عن تشكيل الحرس الوطني لمساعدة البوليس البريطاني في فرض الهدوء حيث اختارت خمسين شاباً مسلماً، وأربعين مسيحياً لكي يرافقوا البوليس

(17) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 نيسان 1920

الانجليزي للمحافظة على الأمن، وقد جمعتهم في دار الحكومة، وكتبت أسماءهم، وعندما طلبوا من الحكومة سلاحاً ليقبلوا بالعمل، رفضت الحكومة منحهم السلاح، فرفض بعضهم العمل.

= لقد انتقمت السلطات البريطانية بضغط من الحركة الصهيونية من رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني، فبعد أن اجتمع مع حاكم القدس البريطاني "ستورز"، وهدده بعدم العمل في السياسة على إثر خطابه في الجماهير المحتشدة. وبعد أيام عزله من منصبه، وعين راغب النشاشيبي مكانه. في محاولة لاستغلال الخلافات بين الحسينية والنشاشيبية، وزع الضغائن والأحقاد بين عائلات القدس، على قاعدة السياسة البريطانية فرق تسد.

الاعتقال ومحاكمة الخطباء

كتبت جريدة القدس الشريف⁽¹⁸⁾ حول ملايسات اعتقال الخطباء فقالت: "لما حضر الوفد الخليلي إلى القدس لأجل الاحتفال بعيد موسم النبي موسى وعلمه المجيد، وقف رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني ورحب بالوفد بصفته رئيساً للبلدة، وفاه بخطاب لم يتعد كلمات الترحيب والشكر والثناء والمديح وتطبيب الخواطر، ثم وقف بعده خطباء خاضوا البحث في عين الموضوع، ولم يكن ثمة من مانع لإظهار عواطف أحد منهم سيما وهم يحتفلون باحتفالات دينية لا سياسية ولا رمزية.

ومن شاهد مظاهرات الفلسطينيين عامة، وأبناء القدس الشريف خاصة التي كان يقومونها ضد الغايات السياسية، يتأكد أن الشعب أكبر من أن يقيم مظاهرات يقصد من ورائها إهاجة الرأي العام أو اشتعال نيران الفتن والثورات، إذ نحن نتأكد ونعتقد أن بأيدينا قوة هائلة تغنينا عن كل ذلك ألا وهي الحق.

ما لبثنا أن رأينا الحكومة طلبت لغيماً من الخطباء الذين خطبوا في ذلك النهار لمحاكمتهم بإدعاء أنهم كانوا المسببين لإهاجة العواطف. ولقد حولت مسألتهم إلى المحكمة وسيحاكمون بها مع أن معظم الشهود الذين شهدوا عليهم أقرروا واعترفوا أن خطاباتهم لم تكن مهيجة ولا داعية لفتن وقلائل. كما وأن الفتنة حدثت بعد الخطب بنصف ساعة، وبعد أن سار الموكب فرحاً مسروراً وعلامات البشر بادية عليه".

وبعد أربعة أيام من احتجازهم أمرت الحكومة بإطلاق سراحهم لثبوت برائتهم بكفالة شخصيات من القدس. ولما خرجوا من دار الحكومة استقبلهم الشبان الذين كانت الحكومة كلفتهم بالمحافظة على الأمن مع البوليس الإنجليزي، فلما أقبلوا دوى المكان بالتصفيق وجعلوا يهتفون لهم "ليحيى الموقوفون".

(18) جريدة القدس الشريف، القدس، 20 نيسان 1920

يقول خليل بيدس حول استدعاء الحكومة له مع آخرين: "كانت الحكومة في أصيل يوم الحادثة قد دعتنا وبعض الإخوان وهم السادة عبد الفتاح درويش، وابن عمه سعيد، وعارف العارف، وكامل البديري، وحسن أبو السعود، ثم صدر أمرها بتوقيفنا، فأخذنا في منتصف الليل إلى السجن في صحبة أربعة من ضباط الإنكليز، ولما كان الصباح التالي جاء حضرة مدير البوليس الكابتن "هوس" وأخذنا في سيارته إلى دار الحكومة حيث لبثنا ثلاثة أيام "ضيوفاً" على الحكومة. وفي اليوم الرابع (7 نيسان) صدر أمر المدير العام الجنرال "بولز" بالإفراج عنا فخرجنا". هذا الإجراء لم يعجب زعماء اليهود في القدس، فكادوا ضدهم لدي حكومة الاحتلال، مستغلين بيان الحكومة الذي يدعو "كل من كان حاضراً يوم الأحد الذي وقعت فيه الفتنة، ويعلم شيئاً من كيفية وقوعها، وعنده معلومات يستطيع أن يفيد بها الحكومة، فليذهب ويقدمها خدمة للحقيقة وانتصاراً للعدل". فقدم اليهود اتهامات ضد كل الذين تواجدوا على شرفة النادي العربي واتهموهم بتحريض العرب ضد اليهود بخطاباتهم، فما كان من حكومة الاحتلال البريطاني إلا أن أعادت اعتقالهم، وقدمتهم للمحكمة العرفية.

يقول بيدس: "لم يمض على ذلك إلا أسبوعان حتى عادت الحكومة فاستدعتنا للمحاكمة، وكان قد تألف وقتئذ ديوان عرفي قوامه كل من حضرات الماجور "ستانتفور ثكلي"، والكابتن "بيكر"، والفتنانت "بيري"، فأخذ في محاكمتنا بناء على التهم الموجهة إلينا من قبل المدعي العمومي الكابتن "كويكلي". اتهمنا حضرته بالمواد 57 و62 و66 من قانون الجزاء العثماني لأنه ظننا مرضين على الفتنة وزعماء للحركة، وكنا سبعة وهم كاتب هذه السطور والسادة عبد الفتاح درويش، وكامل البديري، وحسن أبو السعود، وعبد اللطيف الحسيني، والحاج أمين الحسيني، وعارف العارف".

بدأت اجراءات محاكمتهم في العشرين من شهر نيسان، واستمرت أسبوعاً، مع استدعاء الشهود، الذين منهم من شهد لصالحهم، وآخرين شهدوا ضدهم وهم اليهود. ويذكر خليل بيدس في كتابه ظروف المحاكمة وتداعياتها: "وقد بوشر في محاكمتنا في اليوم العشرين من شهر نيسان، فكنا نأتي إلى دار الحكومة كل يوم صباحاً وبعد الظهر ونعود

مساء إلى السجن حيث أعدت لنا غرفة خاصة جهزت بالأسرة، وسمح لنا بالأكل على نفقتنا، وكانت شردمة من الجنود بسلاحها الكامل تخفنا في ذهابنا وإيابنا.

لبثنا في المحاكمة أسبوعاً وشهد لنا وعلينا جمهور كبير بعضهم من موظفي الإنكليز والبعض الآخر من الصهيونيين والباقون من الوطنيين، نخص بالذكر من الوطنيين سعادة موسى كاظم باشا الحسيني، ومن الإنكليز الكابتن ودي وكيل سيادة مطران الإنكليز ورئيس الكلية الإنكليزية في القدس، والمستر رينولدز رئيس مدرسة القديس جرجس الإنكليزية المشهورة في القدس وفي فلسطين كلها. وكانت شهادات الإنكليز والوطنيين كلها لنا، أما شهادات الصهيونيين فكانت بالطبع ضدنا، فقد شهدوا علينا بأننا حرصنا القوم على الفتنة وكنا زعماءها ومدبريها وغير ذلك مما لا يصعب صدوره عن أمثالهم".

وقد أخذ المحامون الوطنيون يرتبون لائحة المدافعة عنهم، وقد حضر خصيصاً من يافا والرملة المحاميين الشهيرين سليمان التاجي الفاروقي، وراغب الإمام وغيرهم للمدافعة عن إخوانهم المقدسيين.

يقول بيدس: "وسمح لنا بإقامة محام واحد يدافع عن قضيتنا وهو السيد حسن البديري، ثم سمح بمحام آخر يساعده في الكتابة فقط. وكان فريق من المحامين الوطنيين الأفاضل نخص منهم بالذكر السادة جميل بك الحسيني (القدس)، وراغب الإمام (يافا)، والأستاذ سليمان التاجي الفاروقي (الرملة)، وإبراهيم كمال (القدس)، قد هرعوا للدفاع عنا فلم يسمح لهم رئيس الديوان العرفي بذلك، ولكنهم اطلعوا على لائحة الدفاع وأقروها".

وقد برأت المحكمة الشيخ حسن أبو السعود، وكامل البديري، وعبد اللطيف الحسيني من التهمة وأطلقت سراحهم. وأبقت على اعتقال كل من خليل بيدس، وعبد الفتاح درويش ولم تبلغ المحكمة حكمها.

يقول بيدس: "ولبثنا أربعة أيام بعد ذلك في حالة الغموض نذهب إلى دار الحكومة ثم نعود منها إلى السجن مخفورين في الذهاب والإياب دون أن تعلن لنا المحكمة شيئاً".

كما حكمت على عارف العارف، والحاج أمين الحسيني بالسجن غيابياً لمدة عشر سنوات مع الأشغال الشاقة، بعد أن تمكننا من الفرار إلى شرق الأردن ثم إلى

دمشق، وعزلت موسى كاظم الحسيني عن رئاسة بلدية القدس، وعينت راغب النشاشيبي بدلاً منه.

وكتبت جريدة القدس الشريف⁽¹⁹⁾ حول حيثيات محاكمة عارف العارف، تقول: "أرسلت الحكومة في طلب عارف العارف لحضور المحكمة لمحاكمته في اتهامه بإلقاء خطبة مهيجة للرأي العام يوم الفتنة فلم تجده، وبعد التحري وجد أنه برح الحاضرة قاصداً الكرك ومنها إلى دمشق. لما أن كان عارف الدجاني كفيله الذي كفله يوم ألقى القبض عليه، ثم أطلق سراحه بكفالة منه لمدة أسبوع، ثم جددوا الكفالة بكفالة مالية من شقيق عارف العارف قدرها مائتين جنيهاً مصرياً، سجلت عند محرر المقاولات. دعت الحكومة كلا الكفيلين الأول والثاني وطلبت منهما أن يسلماهما المطلوب، ولما لم يتمكنوا دفع الكفيل الثاني مبلغ الكفالة".

قدم كل من خليل بيدس وعبد الفتاح درويش للمحكمة العرفية البريطانية، وحكمت عليهما بالسجن سنتين مع دفع غرامة.

يقول بيدس: "ظننا أن الحكومة ستكتفي بسوقنا على هذه الصورة بضعة أيام أخرى ثم تطلق سراحنا، غير أن ظننا لم يكن في محله، فقد صدر الحكم أخيراً وأعلنه لنا مدير البوليس الكابتن "هوس" في ساحة السجن في القدس، وهو أن المحكمة قد حكمت على كل منا بالحبس سنتين ودفع غرامة مالية قدرها عشرون جنيهاً، واعتبرت الجرم سياسياً، وصادق عليه قائد الفرقة الثالثة من الجيش".

نعتمد أن اعتقال خليل بيدس وعبد الفتاح درويش كان لأهداف سياسية أخرى مغايرة لما قالتها المحكمة العرفية من اتهامهما بالتحريض، فهي كانت تريد كبش فداء للمساومة لاحقاً على الإفراج عن اليهود الصهيونيين، بعد أن اتضح للمحكمة ادانتهم الشديدة في أحداث الفتنة، لذا حكمت عليهما بالسجن، فهي لا تستطيع الإفراج عن اليهود دون وجود مقابل عربي أمامهما في السجن، فتطلق سراحهما، ولكي ترضي

(19) جريدة القدس الشريف، القدس، 26 نيسان 1920

الأهالي والزعماء العرب، فتطلق سراح المعتقلين العرب. وبذلك تكون أمام الرأي العام والصحافة قد حققت العدالة.

كتبت جريدة القدس الشريف⁽²⁰⁾ عن ردود الفعل تجاه هذا الحكم، وموقفها من حكمهما، وقد بدأت حديثها ببيت من الشعر فقالت:

قالت حبست فقلت ليس بضائري حبس وأن مهند لا يغمد

حكمت المحكمة على كل من الوطنيين خليل بيدس صاحب النفائس العصرية، والشيخ عبد الفتاح درويش شيخ عشيرة بني حسن، بالسجن سنتين مع دفع عشرين جنيهاً مصرياً جزاءً نقدياً. هذا ما قرره المحكمة.

وأنا نعتقد أن ما فعله الخطباء في ذلك اليوم من إلقاءهم الخطب الترحيبية وغيرها هو ما كان يفعله قلب كل عربي في ذلك النهار.

ونحن وإن كنا نود أن نقول كلمتنا في هذا الحكم غير أنه قاتل الله الظروف التي لا تسمح لنا بذلك، ومع هذا فلا أحد يمنعنا أن نقول: أيها السادة الأمجاد يا من حكمتما وأودعتما غياهب السجن، أنتما إذا دخلتما سجنكما إنما تدخلان إليه كما يدخل الأسد عرينه، وإن سجنتما إنما في سبيل الوطن والواجب، تقضيا أياماً تسطر لكما بمدادها تاريخاً مجيداً.

ما قامت أمة تطلب استقلالها، وما نهضت ملة تنفض عنها غبار الاستعباد إلا ولاقت ما لا قيمته، وصادفت ما صادفتما، ولا أيدت أمة دعائم استقلالها إلا على مثل هذه الصدمات.

فأنتما في سجنكما هذا ستتركان أفئدة خافقة لكما تذكركما كلما بزغت غزالة وطلع البدر، وتذكر ما قاله مشاهير الأمم في السجون، وأخص بقولي أنت أيها

(20) جريدة القدس الشريف، القدس، 6 أيار 1920

الرصيف (الزميل) بيدس، فأقول لك ما قاله المرحوم رفيق رزق لأحد أصدقائه الذين
سجنوا كما سجننت:

السجن أبلغ ما ألقيت من خطب فاخطب بنا صامتاً في عشك الذهبي
ففي السكوت معان ليس يعربها قول وما القول إلا صورة الأرب
فانعم بسجناك إن السجن مفتخر فذكر (سقراط) لم يبرح من الكتب
وذا صديقك وهو الحق يخذلهم والأرض تمشي على مهل بلا تعب
يفديك بالروح أحرار لقد عشقوا فيك الفضيلة من عجم ومن عرب
أما أنت يا عبد الفتاح:

أنت لست أول طائر في حيز القفص انسجن
وهلال فضل عنه قد عميت عيون ذوي الفطن
في بلدة عمياء في أعيانها انقلب الزمن
بلد به البرهان خاف والقبيح بها حسن

فاقضيا ما أراده الدهر لكما، وثقا أن سحب الأهواء ستجتلي، وسيظهر الحق
ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

يشير بيدس في كتابة إلى ردود الفعل قائلاً: "وكانت الأمة في القدس وجوارها قد اهتمت
جد الاهتمام للأمر، فكتبت العرائض إلى اللورد اللنبي، والمدير العام في التماس الافراج عنا
واحتجت على الحكم علينا ... وأخذت الصحف الوطنية تدافع عن حقوقنا - نخص بالذكر منها -
جريدة القدس الشريف لصاحبها الأديب حسن أفندي صدقي الدجاني، وجريدة الكرمل لصاحبها
الفاضل نجيب أفندي نصار، وجراند سوريا بأسرها".

أما عن ردود فعل عائلة خليل بيدس، كتب ابنه إبراهيم رسالة إلى الأمة عن
والده، ونشرتها جريدة مرآة الشرق⁽²¹⁾ يقول: "تلقيت ووالدتي وإخوتي الصغار الحكم
على والدي بالصبر الجميل، ونحن نشكر لرجال الأمة ما أظهوره من الحماية

(21) جريدة مرآة الشرق، القدس، 2 حزيران 1920.

والأريحية وعواطف الولاء سواء كان ذلك شفاهاً أو كتابة، وإنني أرجو في هذا المقام من الأصدقاء وأهل الفضل الذين لهم علاقة ما بوالدي، ويريدون الاستخبار عنه أو مفاوضته في شيء، أن يتكرموا بمشافهتي في مدرسة القديس جريس الإنكليزية في القدس، أو مكاتبتي إلى صندوق بريد في القدس رقم ١٤، ولحضراتكم جزيل الفضل والشكر".

وقد أعلن أهل القدس تضامنهم ووقوفهم إلى جانب عائلات الموقوفين ودعمهم، فعقد اجتماع من وجهاء وأعيان القدس وقرروا فتح باب التبرع، فتبرعت الجمعية الإسلامية المسيحية بعشرة جنيهاً، كما أن الموجودين في الاجتماع تبرعوا بما يزيد عن الثلاثين جنيهاً، كما قررت نساء عائلة الدجاني برئاسة حرم عارف الدجاني إعانة عائلات الموقوفين، وقد جمع ما ينوف عن الخمسة عشر جنيهاً.

ومن جانبها قدمت جريدة القدس الشريف⁽²²⁾ اقتراحاً إلى أبناء ووجهاء القدس، قالت فيه: "ما كان يصدق الحكم على المستر جابوتسكي بالسجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة حتى رأينا صورته توزع ثاني يوم في الأزقة والشوارع على الصهيونيين، وقد طبعت على بطاقات بريد، وجعلوا يبيعون الصورة بقرشين ونصف غرش مصري، وما ذاك إلا اشهاراً لاسمه، وحباً بجمع المال لمساعدته ومساعدة عياله.

أما نحن فلا نر بدأ من تذكير أبناء قومنا أن من الواجب علينا أن نضع صور هذين البطلين نصب أعيننا في كل وقت وزمن لننتذكرهما ولننتذكر أفعالهما وخدماتهما للوطن خدمة للحق والتاريخ. فلذا اقترح أن نطبع صورهما على بطاقة واحدة، ونبيع هذه البطاقات في جميع أنحاء فلسطين بأثمان بخسة، لنقدم لهؤلاء السادة تذكيراً جميلاً ليومهما هذا.

(22) جريدة القدس الشريف، القدس، 6 أيار 1920.

وإن إدارة هذه الجريدة مستعدة لتنفيذ هذا الاقتراح إذا تم اتفاق الجمعيات الوطنية والشعب عليه، وما ذلك على همم الرجال بعزيم، ولا نخال الحكومة تعارضنا بذلك بعد أن سمحت للصهيونية بطبع صورة جابوتسكي الصهيوني".

كان اعتقالهم في بداية الأمر في سجن القدس، وفي 19 أيار تم نقلهما إلى سجن عكا بالقطار. يصف بيدس في كتابه عملية نقلهما يقول: "ركبنا القطار من القدس وكانت الحكومة قد أمرت لنا بمركبة من مركبات الدرجة الثانية فيه، وكان الجنود الذين معنا على جانب عظيم من الحشمة والأدب، ولما وصلنا اللد نزلنا من القطار وكانت وجهته القطر المصري، ووقفنا ننتظر قطاراً آخر وجهته حيفا... وصلنا حيفا مساء وسرنا في صحبة الخفراء إلى السجن حيث قابلنا الكابتن "ستيورت" مدير البوليس وأظهر كل لطف ومروءة، وما سمع الأصدقاء في حيفا بقدومنا حتى هرعوا لمقابلتنا من كل حدب، وجمهور كبير غيرهم من الأدباء وأهل الحمية والغيرة... ولما أصبحنا جيء لنا بالعربات فأقلتنا والخفراء الأربعة إلى المحطة ومنها أقلنا القطار إلى عكا".

ويكتب جميل حبيب البحري صاحب مجلة الزهرة وصديق خليل بيدس في جريدة مرآة الشرق⁽²³⁾ عن حفاوة الاستقبال التي استقبلت فيها حيفا البطالين، وعن آمال الفلسطينيين بالإفراج عنهما، يقول: "إن السيد عبد الفتاح درويش و خليل بيدس قد صادفا من اهتمام القوم كبيرهم وصغيرهم ما تتلج له الصدور وتقر به العيون، فذهبوا إليهم وحداناً وزرافات في معتقلهما الوقتي، ووعدهما كل خير آمليين بالعفو البريطاني القريب أسوة بمن جرى عليهم الحكم قبلهما".

ولما أزف وقت الرحيل إلى عكا، ودعوهم على رصيف المحطة، وشيعوهم بنظرات تترجم عما في الأفئدة من رفيق الشعور وسمو العواطف، واثقين أن اعتقالهما لا يطول، فنأمل إذن أن الحكومة العادلة لا تخيب ملتسم الملتسمين، بل تجيبهم إلى طلبهم وتلغي حكم المحكوم عليهما، فتسطر في قلوب الفلسطينيين خصوصاً، والأمة

(23) جريدة مرآة الشرق، القدس، 2 حزيران 1920.

العربية عموماً مأثرة لا تنسى ما بقي من هذه الأمة من يدب على وجه الغبراء، فعسى
أن يكون لكلمتنا هذه أذن صاغية، والله يحب الراحمين".

محاكمة اليهود الصهيونيين

حاولت أن تظهر السلطات البريطانية عدالتها في أحداث الفتنة كما أطلقت عليها، بأن جلبت بعض اليهود الذين شاركوا في أحداثها للمحاكمة، فهي لم تستطع أمام الأدلة الدامغة على دور اليهود والجمعية الصهيونية في أحداث الفتنة والاعتداء على المشاركين ورموزهم الوطنية، فاعتقلت بعضاً منهم وحاكمتهم أحكاماً عالية. يشير خليل بيدس في كتابه إلى هذا الموضوع قائلاً: "وكانت المحكمة قبل إصدار حكمها علينا قد حكمت على واحد وعشرين صهيونياً، فحكمت على زعيمهم الخواجا جابوتنسكي بالحبس خمس عشرة سنة وعلى كل من رفاقه بثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة للجميع، وذلك لأنهم استخدموا السلاح وقادوا الجماعات للكفاح، وفعلوا غير ذلك مما لا نتعرض له. وكانت الحكومة قد نقلتهم إلى سجن عكا، ثم لم تلبث أن خفضت مدة الحكم عليهم فجعلتها سنة لجابوتنسكي وستة أشهر لكل من رفاقه".

وقد نشرت الصحافة الفلسطينية آنذاك تفاصيل محاكمة اليهود. حيث ذكرت صحيفة مرآة الشرق⁽²⁴⁾ قائلة: "اجتمع المجلس العرفي في القدس بأمر قائد لواء المشاة الثامن لمحاكمة المتهمين في الحوادث الأخيرة، فحكم بالسجن والأشغال الشاقة على ف. جابوتنسكي، وصوبت المحكمة نفيه من فلسطين بعد اتمام المدة المذكورة، وكان المذكور قد اتهم:

- أولاً، بأن لديه أسلحة نارية وذخائر نارية،
 - وثانياً، بأن لديه أشياء عسكرية،
 - وثالثاً، بمخالفته المادة 45، و56 من قانون الجزاء العثماني،
 - ورابعاً، بمخالفته المادة 58، و45 من القانون نفسه،
 - وخامساً، بمخالفته مادة 45، و55 من قانون الجزاء.
- فوجد مذنباً في المواد الأولى والثالثة والرابعة، وصدر الحكم عليه بسبب ذلك.

(24) جريدة مرآة الشرق، القدس، 21 نيسان 1920

وقد حكمت أيضاً على كل من ابستان الياس، وهومورثكي بن زاین، ومتياس ياهو هيوس، وبناكرد داود كفين، وشبتاي (شنتاي)، ويفلس ميشيل، وجنسبرك الياس، وبلومنفيلد جونا كاهن، ومرقص داويد راليا الكالي، وكروش ابرهام، وهافي لودي الياس، ورابوتوفتش انشتان، ورادوفسكي موش هاييم، وبن هاييم اوشر، وربونوفتش افرایيم لوجور. وقد اتهمت المذكورين:

- أولاً، لوجود أسلحة وذخائر نارية،

- وثانياً، لوجود أشياء عسكرية،

- وثالثاً، لمخالفتهم مادة ٥٨، و45 من قانون الجزاء العثماني،

وحكم عليهم ثلاث سنوات بالحبس والأشغال الشاقة.

وحكمت أيضاً على يوسف سمعان حبش، ومحمد اسماعيل قنيبي لثبوت جرم

ازالة بكاره (اغتصاب) وحرق، مدة ١٥ سنة بالحبس والأشغال الشاقة.

وفي ١٦ نيسان ١٩٢٠ حكمت المحكمة على مردخاي بن داود مالكا المتهم

بارتكابه عدة جرائم:

- إصابة مصطفى السوسي بجراح بقصد قتله مخالفاً المادة ١٧٤، و٤٦ من

قانون الجزاء العثماني،

- ووجود لديه أسلحة نارية لفتك بشخص أو أشخاص متعددين مخالفة للمادة

٢٨ من القانون نفسه،

فوجد مجرمًا في المادة الأولى والثانية والثالثة، وحكم عليه بالسجن والأعمال

الشاقة ١٥ سنة.

وأشارت جريدة بريد اليوم²⁵ "أن لجنة التحقيق برأت ساحة كل من برودا،

والدكتور دونقلموم، ودانيال اوستر، وبابلي، والدكتور واشيف لعدم وجود ما يوقع الجرم

(25) جريدة بريد اليوم، القدس، 11 أيار 1920

عليهم. أما التبعة التي أُلقيت على عاتق المذكورين فهي وجود أسلحة نارية في منازلهم ولم يعلموا الحكومة بوجودها.

وقد وكل بالدفاع عنهم المحاميان الشهيران طشارل كولدن، وهارون الكسندر من القاهرة بمساعدة الحقوقيين الدكتور الياش، والدكتور فان فريسلدن، والدكتور دي هان، وقد قام المدافعون بمهمتهم أحسن قيام".

وقد صدق على هذه الأحكام جنرال فرقة لاهور الثالثة.

تخفيف الحكم ... والإفراج عن المعتقلين

وقد اعتبر اليهود هذه الأحكام جائزة بحقهم، لذا قام اليهود في القدس بالاعتصام وبإغلاق حوانيتهم احتجاجاً على هذه الأحكام. وقد اتخذت الحكومة الاحتياطات اللازمة، فوزعت الجنود والرشاشات في أطراف القدس وشوارعها، خوفاً من تجدد الأحداث، وأرسلت منادياً يدعو اليهود إلى فتح محلاتهم وحوانيتهم.

وفي خارج فلسطين نشطت الحركة الصهيونية في التنديد بهذه الأحكام، وجندت رجالها وأعانها للضغط على السلطات البريطانية للإفراج عن عناصرها. وأمام الضغوط التي واجهتها سلطات الاحتلال البريطانية، عملت على تخفيف الأحكام تمهيداً للإفراج عنهم.

وقد نشرت جريدة مرآة الشرق⁽²⁶⁾ بيان حكومة الاحتلال البريطاني في تخفيف الحكم على جابوتنسكي ورفاقه، فقالت: "جاء من الحكومة أن القيادة العليا في مصر خففت الحكم على جابوتنسكي إلى سنة واحدة، وعلى كل من رفاقه إلى ستة أشهر، وذكرت أيضاً أن المحكمة في القدس قد اتخذت الصرامة في أحكامها لأن الحالة كانت تقتضي ذلك، وأن هذا التخفيض جرى على القاعدة التي اتخذتها القيادة العليا في حوادث مصر الأخيرة. وأما الحكم على الذين افتضوا البكارة وسبوا الحريق، والحكم على اليهودي الذي تعدى بالسلاح فأبقتة على حاله".

وأشارت جريدة بريد اليوم⁽²⁷⁾ في خبر عن تخفيض الحكم على اليهود، جاء فيه: "علمنا من مصدر رسمي أن الجنرال قونغريب خفض حكم جابوتنسكي المحكوم بالسجن خمسة عشر سنة والأشغال الشاقة إلى سجن سنة واحدة، وحكم رفاقه التسعة عشر المحكومين بالسجن ثلاث سنوات والأشغال الشاقة إلى سجن ستة أشهر".

(26) جريدة مرآة الشرق، القدس، 19 أيار 1920.

(27) جريدة بريد اليوم، القدس، 11 أيار 1920.

وعلى إثر هذه الاجراءات التي اعتبرها الأهالي والزعماء العرب والصحافة العربية اجراءات تعسفية وعنصرية، فخرجت الصحافة العربية تطالب السلطات البريطانية المعاملة بالمثل بشأن المعتقلين العرب. وقد نشرت جريدة القدس الشريف⁽²⁸⁾ بياناً للرأي العام تطالب السلطات البريطانية بإعادة النظر في الحكم على الخطيبين بيدس ودرويش، وتحاول أن تنفي عنهما مسألة التحريض، وتدعو الأمة من وجهاء ومحامين إلى الالتفاف حولهما والدفاع عنها والضغط للإفراج عنهما. قالت فيه: "ما كادت المحكمة تصدر حكمها على المسيو جابوتنسكي ورفاقه حتى قام أبناء قومهم يدافعون عنهم، ويلتمسون للإفراج عنهم كل سبيل إلى أن فازوا بشيء كثير من المرغوب، فخفضت الحكومة مدة الحكم على جابوتنسكي من الخمس عشرة سنة إلى سنة واحدة، وعلى كل من رفاقه من الثلاث سنوات إلى ستة أشهر.

ومعلوم أن المحكمة قد أصدرت حكمها وليس للوطنيين أقل تداخل أو شهادة، وليس من الوطنيين من فرح لإصدار الحكم على هؤلاء الناس أو حزن لتخفيف مدة الحكم عليهم. لأن الأمة العربية قد طبعت على مكارم الأخلاق وشرف المبادئ، فهي لا تتمنى ولو لأشد أعدائها الأذى والضرر ولا تبتهج لنكبات الغير.

وقد حكمت المحكمة أيضاً على اثنين من خطبائنا وهما بيدس ودرويش بالسجن سنتين وأعلنت هذا الحكم، والحال أن خطب الخطيبين في واد والفتنة في واد آخر. مع أن جميع الشهادات كانت متفقة على أن الخطيبين لم يخرجوا في كلامهما عن الترحيب والتهنئة.

وقد تلتقت الأمة هذا الحكم بالصبر لعلمها بأن الحكومة البريطانية أرفع من أن تحكم على بريئين ليس لهما أقل ضلع في الفتنة، وإنما دعياً للخطابة بدعوة خاصة من الإخوان، حتى أن أحدهم (بيدس) كان أتياً بعياله إلى الكنيسة فدعي للخطابة

(28) جريدة القدس الشريف، القدس، 13 أيار 1920.

فلبى كعادته في كل حفلة، وكان من أمره ما كان، وكانت قرينته وأولاده واقفين في شرفة البلدية، ثم اجتمع بهم في مخزن الخواجا أنطون نيكوديموس، ولما حدثت الفتنة لجأ إلى ذلك المخزن اثنان من اليهود، فكان خطيبنا أشد غيرة على العناية بهما والاهتمام بأمرهما.

وعجيب أمر هذا التحريض كيف يكون في مثل هذا الوقت، وفي مثل تلك الساحة وقد غصت بالمئات والألوف من النساء والأطفال، وأعجب منه أن يتم هذا التحريض على مسمع من بضع عشرات من رجال البوليس والجندرمة؟، والله إن ذلك لمن أدهش المدهشات.

أما وقد صدر حكم المحكمة على الخطيبين، فما هو واجب الأمة بإزاء ذلك؟، ما هو واجب الجمعيات والمحامين في القدس، وفي كل مدينة وجهة من مدن فلسطين وجهاتها؟. إننا نترك الحكم في ذلك إلى كل ذي ضمير حي ووجدان صحيح، ونسأل الحكومة العادلة أن تعيد نظرها في قضية الخطيبين وتسمح لنا بنشر الدفاع الذي فاه به أحدهما، ونقله المحامون. هذا ما نستطيع أن ننشره إليك أيها الرأي العام، والله على ما نقول شهيد".

وكتبت جريدة مرآة الشرق معلقةً على خبر تخفيض الحكم على اليهود: ننظر ما تقرره هذه القيادة العليا في مصر بشأن عبد الفتاح درويش، وخليل بيدس قبل أن نقول كلمتنا، على أننا لا نشك أن تلك القيادة ستقرر تخفيض الحكم على مواطنينا حسب القاعدة التي جرت عليها.

وهذا ما كانت تسعى إليه السلطات البريطانية، كما ذكرنا سابقاً، لكي تغطي على تخفيف حكم اليهود، ثم بالتالي الإفراج عنهم، أن تتادي الصحافة العربية بالمعاملة المثل للمعتقلين العرب، فيتم تخفيف الحكم عنهم تمهيداً للإفراج عنهم مثل اليهود، لكي تظهر بمظهر الحكومة العادلة. وفعلاً تعاملت بالمثل وخففت الحكم عن بيدس ودرويش إلى ستة أشهر.

يقول خليل بيدس في كتابه: "وجاءنا حاكم عكا في ذات يوم وقال: إن الحكومة قد أنزلت عنكم مدة الحكم فجعلتها ستة أشهر بدل سنتين. فشكرناه".

ولكن هذا التخفيف لم يعجب خليل بيدس ولم يكن فيه عدلاً كما قال لحاكم عكا.

يقول: "إننا كنا ننتظر أن تعاملنا الحكومة بعدلها المشهور فتجعل عفوها على نسبة واحدة بيننا وبين الصهيونيين، لأن الصهيونيين وهم مجرمون جرماً حقيقياً قد جعلت مدة الحكم عليهم من خمس عشرة سنة إلى سنة للخواجابوتنسكي ومن ثلاث سنوات إلى ستة أشهر لكل من الباقين. ولما كان جرماً في نظر الحكومة قوميًا - بدليل المخابرات التي جرت بينها وبين الجمعيات الوطنية بخصوصنا - فعليها والحالة هذه أن تساوينا بالصهيونيين على الأقل وتجعل مدة الحكم علينا شهراً ونصفاً أو شهرين مراعاة للمساواة بيننا وبين خصومنا وصونا لحقوق الأمة العربية بإزاء اليهود".

وبعد أن شكلت السلطات البريطانية إدارة مدنية تولى رئاستها "هربرت صموئيل" كأول مندوب سام بريطاني على فلسطين، وفي خطوة للتقرب من العرب عفا عن المحكوم عليهم في ثورة القدس، ومن بينهم عارف العارف، والحاج أمين الحسيني، وخليل بيدس، وعبد الفتاح درويش.

يقول بيدس: وعلمنا في أواخر حزيران بقرب سفر المدير العام الجنرال "بولز" من فلسطين، وحضور السر "هربرت صموئيل" مندوباً سامياً فيها، ... وأن الحكومة ستحتفل بقرعة منشور جلالة الملك جورج الخامس إلى أهالي فلسطين في القدس في 7 تموز، وفي حيفا في 8 منه، وأن المندوب سيعلم في هذين الاحتفالين الإرادة الملكية في البلاد، ويعلن عفو الحكومة عن سجناء حادثة 4 نيسان. ... ولما كان المساء (8 تموز) عاد الحاكم من حيفا وقال: أنتما حران منذ هذه الساعة، أن تسافرا إلى حيث شئتما فقد عفي عنكم وأمرت بإطلاق سراحكما ... خرجنا من السجن مساء وبتنا ليلتنا تلك في منزل بعض الأصدقاء، وأقمنا بعد ذلك في عكا يومين وفي حيفا يومين آخرين قضيناها في زيارة الأصدقاء والمعارف ... وفي 13 تموز ركبنا القطار من حيفا إلى القدس، ... ولم نكد نصل محطة القدس حتى رأينا جماهير الوطنيين الأعزاء في انتظارنا، وليس لقلمنا أن يصف ساعة اللقاء هذه وما تجلى فيها من روح الوطنية الصادقة".

وقد وصفت جريدة بيت المقدس⁽²⁹⁾ الحفاوة والاستقبال الذي لقيه بعد خروجها من السجن، تقول: "بعد ظهر (13 تموز) توافد جمع غفير من أعيان الوطنيين على محطة السكة الحديدية لاستقبال الوطنيين المناضلين خليل أفندي بيدس وعبد الفتاح أفندي درويش، عائدين من عكا حيث أقاما في سجنهما وهاء ثلاثة أشهر، وكان ينتظر قدومهما أول من أمس، غير أنهما تأخرا في قرية بتير حيث اجتمع لملاقاتهما جمع كبير لا يحصى عدده من القرى المجاورة، وقد أنزلا هناك على الرحب والسعة، وأقيم لهما مهرجان عظيم، وركبا القطار قادمين إلى القدس، فقبلا عند وصولهما بهتاف الفرح والتهليل مما دل على ما لهما في القلوب من المنزلة الرفيعة، وركبا هناك عربة مزدانة تلاها عدد كبير من العربات تقل أصحاب النخوة والشهامة من وجهاء الوطنيين إلى المنتدى الأدبي حيث جرى احتفال شائق وأدير المرطبات، وارتجل خليل أفندي (بيدس) خطاباً كان له وقع حسن، قال فيه: إن عذاب السجن وما قاسيناه في هذه المدة لم يحط من عزمنا ولا يقعد بنا عن النضال في سبيل المصلحة الوطنية".

(29) جريدة بيت المقدس، القدس، 14 تموز 1920

القسم الثالث
لجنة بالين .. وشهادات التحقيق

تشكيل لجنة بالين

كان من نتائج ثورة القدس عام 1920 أن قامت الحكومة البريطانية بتشكيل لجنة تحقيق عسكرية لدراسة الأسباب التي أدت إليها، وذلك في 12 نيسان/ إبريل 1920، وكانت اللجنة تضم ثلاثة أعضاء، هم: الجنرال سير فليب بالين، رئيساً للجنة، والجنرال إ. أ. وايلدبلد، والكولونيل سي فون إدواردز، وقد عرفت هذه اللجنة باسم "لجنة بالين"، واستمرت اللجنة في عملها 50 يوماً، وقامت بتحري 152 شهادة. أنهت لجنة تقرير بالين تقريرها في 1 تموز/ يوليو 1920 في بورسعيد، وقدمته في آب 1920، ولم يُنشر قط. وذلك للنتائج الخطيرة التي توصل إليها التقرير حول دور اليهود في أحداث الفتنة، ومساندة السلطات البريطانية لهم، وطرحه لمخاوف العرب من إقامة الكيان اليهودي على أرض فلسطين، والنتائج الكارثية التي يمكن أن تنتج عن هذا الكيان. وقد بقي التقرير محفوظاً في أوراق وزارة الخارجية البريطانية حتى عام 1968.

وقد نشرت سلطات الاحتلال البريطانية في الصحافة يوم (3 أيار 1920) بلاغاً رسمياً صادراً عن الحاكم العسكري بالقدس الكولونيل ر. ستورز حول تشكيل اللجنة يقول: "إن جميع المراسلات المقصودة إلى الهيئة التحقيقية التي تجلس في دائرة العدلية تحت رئاسة ب. س. بالين للبحث عن الاضطرابات الأخيرة يجب أن تعنون هكذا: سكرتير الهيئة التحقيقية - لوكاندة النبي بالقدس. والتلفون للهيئة المذكورة في لوكاندة النبي مقيد باسم الماجور جنرال السير ب. س. بالين".

وقد استدعت لجنة التحقيق العسكرية البريطانية عدداً من شخصيات القدس والخليل للإدلاء بشهادتهم حول الأحداث التي وقعت يوم الاحتفال في 4 نيسان، من بينهم رئيس بلدية القدس. كذلك استجوبت عدداً من الشهود من جنود وضباط القوات الإنجليزية، ومن بينهم جنود من العرب، كما استمعت إلى شهادة الجنرال بولز خلف

أبواب مغلقة، وكذلك استمعت إلى أقوال عدد من اليهود من بينهم رجال الجمعية الصهيونية، والكولونيل بنتويش، واللفتانت ابزنبرك، والدكتور روبينوف، والخوaja سفير. وقد نشرت جريدة (بريد اليوم) بعض الشهادات، وهي الجريدة الوحيدة التي نشرت حيثيات الشهادات على صفحاتها.

شهادة موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس:⁽³⁰⁾

شهد بما يلي: "يوم الأحد صباحاً (4 إبريل) في الساعة العاشرة ونصف حلت في القدس أهالي الخليل للقيام بفرض زيارة النبي موسى حسب عاداتهم في كل سنة، فخرج لاستقبالهم أهل القدس وبصحبتهم عدد كبير من النابلسيين حضروا لنفس الموسم، وكان السرور شاملاً والقلوب مبتهلة بحلول العيد. في العام الماضي خرج الحاكم العسكري الكولونيل ستورز لاستقبالهم، وكنت أنا بجانبه، وقد هنئهم وقتئذ، وكلفني أن أهنئهم أنا أيضاً ففمت بذلك، أما هذه السنة فلم يحضر.

بوصول أهل الخليل لأول شارع يافا استقبلهم عارف العارف وهنئهم وسار الخلق إلى البلدية.

س - ما الذي حدث عند الاستقبال، وما الذي قاله عارف العارف؟.

ج - لقد فاه بخطبة تهنئة للزائرين درج فحواها بسورية الجنوبية.

س - هل كنت حاضراً؟.

ج - نعم وسمعت الخطبة.

س - ما قال فيه؟.

ج - قال السلام عليكم يا إخوان، كلنا إخوان وأولاد وطن واحد، ليكن مجيئكم

مباركاً، كونوا بسلام فالיום يوم سلام.

وقد عول الجمهور على السير لباب العامود ولم يدخل قسم منه لباب الخليل.

أما أنا فسرت مع الجمهور إلى البلدية ووقفت على الشرفة. ثم جواباً على تبريكات

الخلق للبلدية، بصفتي رئيسها وأحد أهالي الحاضرة، فُهت ببعض جمل قلت للخلق

(30) جريدة بريد اليوم، القدس، الثلاثاء 11 أيار، و14 أيار 1920.

فيها: أيها الضيوف الكرام، لتحل بركة الرب عليكم وليكن مجيئكم مباركاً، فإذا بودكم أن تحلوا على الرحب والسعة، وأن تكون زيارتكم باعثة للرضى فعليكم بالخلود إلى السكينة والمحافظة على السلام.

س - وما الباعث لكل هذه الوصايا والتتبيهاات والزيارة عادة معتادة في كل سنة.
ج - في كل سنة بموسم كهذا يجتمع في القدس جمع وافر من الخارج، الأمر الذي كان داعياً لأن تخصص الحكومة التركية فرقة كافية من الجند للمحافظة. فرأيت مناسباً بصفتي موظف حكومة أن أطلب من الخلق المحافظة على الترتيب والأمن.
وقد خطب بين الجمهور شاب صغير من الخليل قارئاً في نشرة كانت بيده، وبعده خطب خليل بيدس.

س - هل سمعت خطاب الشاب الصغير؟.

ج - لا أتذكر عباراته تماماً، ولكن لم تكن الخطبة إلا عبارة عن تقديم تبريك وتهنئة للزائرين وعبارات الشكر، كما أن خطبتي خليل بيدس وعبد الفتاح درويش كانتا بنفس المعنى.

بعد تتمة الخطب المذكورة طلب الشيخ مبارك (كامل إبراهيم مبارك) قراءة خطاب في ورقة كانت في يده ولكن لم يسمح الوقت بذلك.

س - هل كانت تجري خطب كهذه فيما مضى، وهل كانت الأهالي في كل سنة تستقبل الزائرين بخطب؟.

ج - من العادة أنه متى حضرت جماعات من الخارج خصوصاً في موسم أعياد، فالأهالي تستقبلهم بخطب تبريك وتهاني وهي عادة دارجة، وقد قدم عبد اللطيف (الحسيني) للخلق صورة الأمير فيصل.

ونظراً للحفرات المفتوحة اضطر الجمع أن ينقسم إلى قسمين: قسم أخذ وجهته اليمين، والخليليون توجهوا للمنتدى الأدبي، وكان قصدهم المسير سوية ولكن الحفرات

منعتهم، فعزموا على الذهاب للمنتدى الأدبي أولاً، ثم التجول في البلدة بطريق باب العامود.

س - هل مر الجمهور بقرب لوكندة فاست؟.

ج - قسم اليمين طلب المرور بقرب اللوكندة ليتابع سيره ويجتمع برأس الشارع مع قسم الشمال، ولكنني رأيت بغتة البوليس يرجعهم للبلدة، فتعجبت من ذلك ونزلت للشارع لأقف على حقيقة الأمر.

س - أي قسم أرجعه البوليس؟.

ج - قسم الشمالي وبرجوعه رجع أيضاً قسم اليمين.

قلت إنني نزلت للشارع لأسأل سبب ارجاع الجمع فوصلت لمحل مورومس، وإذ ابتدأت الحركة عند رجوع الخلق القهقري دخل قسم كبير منه لباب الخليل، وباشر القسمان بإلقاء الحجارة على الحوانيت والأشخاص، فدخلت بينهم لأساعد البوليس وأمنع الحركة، ولكن البوليس أدخل الجمع كله داخل الأسوار وقطع عنهم شارع يافا، فطلبت الدخول لداخل الأسوار فلم يجاب طلبي.

عند هدوء الحالة بشارع يافا سرت لبيتي، وفي الساعة الخامسة أو الخامسة ونصف وصلني تكليف من المستشار المحلي يكلفني بالذهاب مع سائر أعضاء البلدية لمواجهة الحاكم فذهبت حالاً. في ردهة انتظار الحاكم وجدت حنا أفندي اسطفان، وانتظرت هناك 30 دقيقة أو نصف ساعة جلب في أثنائها خليل بيدس وكامل البديري والشيخ حسن أبو السعود، فرجوت حنا أفندي اسطفان أن يرسل بطلب أعضاء البلدية، ثم طلبني الحاكم فدخلت عليه، وهذا ما قاله لي: حلت إلى اليوم الطهارة في القدس. أما اليوم فقد حلت فيها النجاسة لقد لكتها أيدي أصحابنا المسلمين. فأجبتة قائلاً: لا أفكر أن الأمر مثل ما تعتقده، لقد اتضح أن العرب والاسلام لم تكن لهم نيات سيئة بذلك، إنه لم يعثر على سلاح عندهم، أما اليهود فقد تسلحوا بمسدسات.

س - هل خرج اليهود يومها بمسدسات؟
ج - لم أرى ذلك بشارع يافا، ولكن بذهابي للبيت سمعت دوي الرصاص ورأيت شبان اليهود والمسدسات بأيديهم.

س - من هم الذين ألقوا الحجارة؟
ج - كان الاحتشاد عظيماً وبينه العدد الوافر من اليهود.
س - من كان المسبب لهذه الحركة؟

ج - إني أجهل دخيلة الأمر وأسبابه الحقيقية، ولكن مدير البوليس المستر هوويس كان عند الحاكم وشهد أمامه أن صبياً مسلماً تخاصم مع صبي يهودي، فتداخل جندي يهودي في الأمر وابتدأت الحركة.

نظرا لبعد المسافة لم أتمكن أن أرى من بيتي اليهود حاملي المسدسات، ولكن رأيت جمعاً كبيراً بأيديهم هراوات، وقد صدر الرصاص من جهتهم، ثم رأيتهم يتراکضون حتى أتوا إلى المستعمرة اليهودية القريبة للشيخ جراح، ففهمت أنهم يقصدون ...

س - وما الذي أكد لك أنهم من اليهود؟
ج - يمكنني أن أفرق بسهولة اليهودي من العربي، ورأيتهم يسرعون بهراواتهم وكانوا كلهم من اليهود واطلاق الرصاص صدر منهم.

س - هل ذهبت لبيتك بعد مقابلة الحاكم؟
ج - قلت للحاكم أن الحكومة التركية كانت تأتي بثلاثة أو أربعة آلاف جندياً للمحافظة، هذا عدا عن الفرقة التي كانت مرابطة بالقدس.

أما هذه السنة فلم يرافق الخلق سوى اثني عشر شرطياً. ثم الحاكم كلفني وأعضاء البلدية بمساعدته لحفظ الأمن والراحة فوعدناه خيراً، ولكننا أعدنا عليه الطلب ببث الجنود في الشوارع والأزقة ليلاً ونهاراً خوفاً من تكرار الحركات، ودفعتاً لشكوى

الأهالي المتذمرين من أعمال الصهيونيين، وقد بلغنا أنهم يتوسلون بجميع الوسائل للتعدي على المسلمين والمسيحيين.

يوم الأحد (4 ابريل) قبل وصول رجال الخليل خرجت من البلدية وتصادفت مع بعض الأهالي فأعلموني أن بعض اليهود بالزمن الأخير تعدوا على مسلمين ومسيحيين وضربوهم، وأن بعضهم أيضاً تعرضوا لشرطي بإحدى محلات اليهود وأشبعوه لكماً، فكلفوني بإيصال الأمر للحاكم العسكري ليمنع التعدي في المستقبل، وليعمل على إبعاد الجند اليهودي نظراً لما يبديه من الأذية للأهالي بيافا واللد والرملة. فذهبت للحاكم وأعدت على سماعه تفصيلاً كل ما كلفت به. فأجابني أن لديه شكايات ضد المسلمين. فقلت له أن الأمر خلاف ذلك وطلبت منه التحقيق ليقنع بصدق كلامي.

فطلب الحاكم مستر هوويس مدير الشرطة واستفسره، وبعدها وجه خطابه إلي قائلاً: نعم ضرب أحد جنود اليهود شرطياً، فأجبته: ما دام الشرطي يضرب فالأهالي طبعاً صادقة بشكواها.

في الغد (5 ابريل) في الساعة التاسعة صباحاً سرت للحاكم لأرافقه بالشوارع ليأمر أصحاب الحوانيت لفتح حوانيتهم كالعادة.

قبل دخولي سراي الحاكم شاهدت جمعاً واقفاً خارج القصر، فأخبروني أن رجلاً مسلماً قتل بالرصاص داخل الأسوار، وأن اليهود يسرون خارج البلدة بلباسهم العسكري، ومنهم الواقفون على سطوح المنازل يعطون بالأعلام الاشارات والرموز لبعضهم، وقد تجولوا ليلاً خارج البلدة يتزمنون ويتهللون بالأناشيد الصهيونية.

فدخلت على الحاكم مع المفتي أفندي (محمد كامل الحسيني)، وعرضت له الكيفية، فوعدني أنه سينزل قسارى جهده، ولكنه لم يصدق تجول اليهود ليلاً بدليل أنه قام بذاته بجولة ليلية في جميع الشوارع ولم يشاهد أحداً، وعلى طلب الحاكم ذهب المفتي للحرم وبلغ أهالي الخليل بالرجوع إلى بلدتهم.

في بادئ الأمر رتب أن يدعى الحاكم والمفتي والداعي لزيارة النبي موسى، ولكن وقوع الفتنة منعنا عن الذهاب.

توقفت الأشغال في البلدة بعد اقفال أبوابها ومداخلها، وكابد الخلق مشقات جمّة من جراء ذلك، وقد أعلنت الأحكام العرفية يوم الأحد الساعة السادسة وربع مساءً.

قبل الاحتلال انتظر المسلمون والمسيحيون مجيء البريطانيين، وكان دخول الجيش المحتل فرحاً عظيماً للطائفتين، فأقاموا وقتذاك الأفراح وسلموا للمحتلين جميع السلاح الذي كان بحوزتهم. فإذا فتشتم مخازن السلاح لا تجدون فيها إلا القليل من سلاح اليهود، ويظهر لكم ذلك من الأسماء المكتوبة على الأسلحة المسلمة للحكومة.

إن ولاية الأمور والحكام هنا كانوا آله بيد اليهود يساعدونهم بتجارتهم ويعطونهم جوازات سفرية لمصر، ما لم يعطى للمسلمين والمسيحيين. فقد سمعت من كثيرين وشاهدت بذاتي تاجراً يهودياً سافر لمصر دفعات متوالية، في عين الوقت كان إذا طلب أحد المسلمين أو المسيحيين جوازاً للسفر يضعون العثرات في طريقه، مع أنه لم يكن ما يحول دون سفره والحكومة لم تمنع رسمياً السفر لمصر.

س - هل قدم احتجاج على ذلك؟.

ج - نعم، لقد قدمت احتجاجات عديدة بمعرفتي، وأنا بذاتي رفعتها للحاكم العسكري، أما مقدموها فقد احتجوا على الترخيص لتاجر يهودي بالسفر إلى مصر مرات عديدة، ولم يرخص لتاجر مسلم أو مسيحي بذلك ولو دفعة واحدة.

يوم الأربعاء (7 نيسان) صباحاً ذهبت مع المفتي للحاكم لداع التفتيش الذي أجروه ببيت سماحته، وللنظر أيضاً في أمر رجوع زائري النبي موسى، فكان جواب الحاكم إنه نظراً لإعلان الأحكام العرفية لا علاقة له بعد بالأمور المذكورة.

س - هل شاهدت تجاوز أو تعدي أمام محلات مورمس؟.

ج - شاهدت رشق الحجارة والمجروحين.

س - لماذا أعادت الشرطة الخلق عمداً لباب الخليل؟.

- ج - نزلت من البلدية لاستطلع السبب فلم أتمكن من معرفته نظراً لابتداء الحركة بالدقيقة عينها، ولكنني سمعت مؤخراً أن السبب هو (حلول وقت الطعام).
- س - هل شاهدت رجال الخليل حاملي الأسلحة والخناجر؟
- ج - أحد رجال الخليل بجانب العلم كان شاهراً سيفه.
- س - هل توقع حدوث فتنة؟
- ج - لم أتوقع ذلك لأنني أعلم يقيناً أن المسلمين والمسيحيين محبي السلام، ودليلي على ذلك الترتيب التي سلكت به مظاهراتهم رغماً عن تعدي اليهود عليهم.
- س - أي مظاهرة تعني؟
- ج - مظاهرة 17 مارس والمظاهرات التي تلتها، فقد تعدى اليهود وقتئذٍ على المسلمين والمسيحيين والجمعية المسيحية المسلمة احتجت على تعديهم للحاكم العسكري".

شهادة الماجور م. بوروس

من فرقة السيك بعد حلفه اليمين:⁽³¹⁾

شهد بما يلي: "في الرابع لإبريل في الساعة التاسعة صباحاً كنت في باب الخليل حين دخل الخليليون للقدس يرافقونهم خيالة مسلحون ببنادق. في مقدمة الخلق سارت جماعات حاملة السيوف والعصي، وفي مؤخره سارت غيرها حاملة الأعلام، خارج باب الخليل فاه فارس من على ظهر جواده بخطبة تحمس لها الخلق وصفق للخطيب تصفيقاً حاداً رافعاً ومشهراً العصي، وقد قيل لي بعدئذ أن الخطيب اسمه (عارف باشا) الدجاني⁽³²⁾، وقامت بعدها جماعات بألعاب مخصوصة مختلفة.

قريب للساعة العاشرة وربع دخلت لنزل (كراند اوتيل) ودخل قسم من الخلق لباب الخليل بهتاف ونشيد ووقف أمام النزل الذي كنت أنا فيه. في نفس الوقت مر أحد الخيالة من باب الخليل صارخاً في نفيير طالباً النجدة لأن الحركة كانت قد ابتدأت، فسكت النشيد وكف الرقص، وشاهدت كهلاً اسرائيلياً ضرب وقد سالت الدماء من رأسه، وفي الدقيقة ذاتها هجم البعض على فتى اسرائيلي وأشبعوه ضرباً وحشياً، وقد رأيت بعيني أنهم غرزوا السيف في ظهره، فتركت النزل وأرسلت رسولين عسكريين لإعطاء الأوامر للقوات أن تكون على تمام الأهبة، وذهبت لمركز البريكاديا لأتلقى الأوامر من القائد.

بمروري بين باب الخليل وشارع يافا شاهدت أن القسم الأكبر من الخلق تفرق ولم أر تجاوز أو تعدي، وقد استلمت الشرطة جميع المصابين. بعد جرح الفتى اليهودي سار الخلق ذهاباً وإياباً ثم تفرق دفعة واحدة. بوصول الخبر إلى قائد البريكاديا تلقى تعريفاً من الحكومة بخطورة الحالة بالمدينة، فأرسل قوات للمحافظة.

(31) جريدة بريد اليوم، القدس، 21 أيار، و28 أيار 1920

(32) الصحيح هو عارف العارف، وهذا دليل أنه لم يعرفه بل سمع اسمه من آخرين.

لم يحدث مدى الليل ما يقلق راحة الجند المرابط في البلدة، وقد أعطيت الأوامر صباحاً بفتح الحوانيت وبيوت التجارة كالعادة.

ثم سلم الشاهد لائحة بأسماء الجنود التي شاهدت النهب، وزاد على ذلك بأن وردت عليه أخبار متوالية وعديدة الأساس عن حدوث قلاقل، مما أجبره على ارسال قوات محافظة لجميع أطراف البلدة بدون أن يكون لزوم لذلك، وقد أتته الاشاعات المذكورة من أناس ساكنين أمام نزل امدروسي.

لم يمكنني قال الشاهد معرفة ماهية الأشخاص المذكورة والملل التي ينتسبون إليها، فمنهم البعض ادعوا أنهم بريطانيي التبعة. أما الذي فهمته من مخالطتهم لنا أنهم دخلوا البلدة ليحدثوا فيها القلاقل وقد أتوا إلي بأخبار عن حدوث مزعجات داخل البلدة ولم يكن أساس لروايتهم.

وقد أتت أخبار عن استحضارات يجريها البعض لوضع النار بكنيس يهودي. أما الرسل الذين أتوا بالخبر فلم يأخذوا محافظة للمحل الذي اندلع منه اللهب للكنيس، وقد عثر أحدهم بالصدفة على آثار زيت بترول سكب على باب إحدى البيوت في حارة اليهود.

في الغد (5 ابريل) كلفني أطباء صهيونيون بمرافقة أحد الاسرائيليين لتوزيع أدوية في حارة اليهود، الدليل الذي رافقني كان متأزراً بوزرة بيضاء ولابس طربوشاً في رأسه، فتبعته ماراً بأزقة مختلفة مؤدية لحارة اليهود ولكنني لاحظت أنه يسعى للتملص مني فمسكته وأخيراً أتى بي إلى إحدى البيوت فدخلتها، وسألت سكانها إذا هم باحتياج إلى علاجات فأجابوني سلباً، ثم أجلت الطرف لأستفسر الدليل فلم أره، فعلمت أنه فر مغتتماً فرصة انشغالي بالسؤال والجواب، وقد ألقى القبض عليه في ذات النهار.

بعض الأشخاص الذين اشتبهت في أمرهم وظهر لي أنهم يديرون حركة شغبية سافروا بقطار 12 إبريل قبل المباشرة بالتفتيش على السلاح. وبهذه المناسبة أريد أن أذكر أحد القسيسين الذي ادعى أنه بريطاني وأقلق الحاكم في دار الشرطة بتواريخ

12 و 13 إبريل وأزعج المحكمة بادعاءات ضد الجنود، ولم يعتمد بذلك سوى وضع العسرات والحوائل ليحول دون سير أعمال المحكمة.

في اليوم الخامس في (9 إبريل) حدثت قلاقل مرتين، الأولى قبل الظهر في الساعة الحادي عشرة أمام نزل امدروسي، فتيان يهود والبعض ممن لا أشغال تلهيهم تراكضوا بالشوارع بصراخ عال وصياح مزعج، وقد بلغني رجل لابس قبعة وثياب عادية بأن ليس هناك ما يدعو للأهمية وأن الخلق جميعه بالحرم، فذهبت للحرم ورأيت المسلمين لم يباشروا في صلاتهم فأخبروني أنهم لا يقومون بفروض العبادة قبل تركيز المتراليوز تجاه محلة اليهود لئلا يهجم عليهم هؤلاء في وقت الصلاة.

بعد الصلاة رافقت زائري الحرم حتى شارع الخليل، وأخرج الجند الخلق من الحرم بطريق شوارع مختلفة. الشخص الذي كلمني أمام تزل امدروسي أخبرني بأن أحد المسلمين ضربه على وجهه بقبضة يده، وسمعت من آخرين أن البعض هجموا عليه، ولكن أفكر أن لولا وجوده هنالك لما حدثت قلاقل.

هبت النار في الكنيس بتاريخ 7 إبريل، فتبلغت الخبر في الساعة العاشرة صباحاً وصعدت للنبي داوود فرأيت النار مشتعلة في الكنيس، فأرسلت بالحال سويديون مونكل سنك مع شرطي عسكري لمحل الحريق، وأتبعتهم بالفتنات قريستول مصحوباً بقوة محافظة، فأخمدوا اللهب، وقد ساعد الجند المحافظ اليهود على تخليص حوائجهم وأمتعتهم. وبعدها رجع اللفتنات وبلغني بأنه أخدم الحريق وأنه كابد المشقات حتى دله اليهود على آبار المياه، ووجد الأدوات اللازمة لإخماد اللهب، وزاد على ذلك أنه ساعد اليهود بتخليص أمتعتهم الثمينة.

في الساعة الخامسة ونصف ذهب سويديون مونكس للنظر في أمر الحريق، فأطلق عليه اليهود الرصاص وذلك ما أرغمه على قتل اثنين منهم. وفي الساعة السادسة ونصف بلغه موظف عسكري من موظفي الحكومة أن الأهالي تتهب كنيس

يهود، فأرسلت ثلثة من الجند للمحافظة وبعد قليل حضر واحد منهم وأعلمني أن الحالة هناك هادئة.

مساء الأربعاء (7 إبريل) ساعدتني الشرطة على نقل ما بقي من كتب التوراة في الكنيس. في الساعة الحادية عشر من يوم الخميس (8 إبريل) عند هبوب الحريق للمرة الثانية ذهب الضابط ماك كريكور للكنيس مع عدد من الشرطة ونقلوا جميع المجلدات المقدسة الكبيرة.

في الخامس لإبريل بعد أن تعدى أشخاص غير معلومين على جنود السيك وجرحوهم، ارتأيت مرافقة الشرطة في دورياتهم بالبلدة فلاحظت أن الجنود الهنود ساخطين على أفراد الشرطة بعد ما شاهدوه من أنهم كانوا أول الهاجمين على الجنود الهنود الذين رافقوا اليهود. فبلغت قائد البريكاديا واقعة الحال وأخبرته أن الضرورة تقضي بإخراج أفراد الشرطة من البلدة ونزع سلاحهم، وقد تم ذلك في نفس اليوم بعد اعلان الإدارة العرفية. أما عدد الشرطة فهو 180 بينهم 30 من اليهود.

س - هل يمكنك أن تصرح لنا السبب الداع لإطلاق اليهود رصاصهم على سوييدون مونكل؟.

ج - يظهر أنهم لم يتبينوه ولم يعلموا أنه من الجنود البريطانيين، وقد حدث الأمر في ساعة فوضى محزنة.

شهادة الكابتن ذ. ماك بعد حلفه اليمين:⁽³³⁾

شهد بما يلي: "يوم الأحد (4 إبريل) بعد الصلاة عدت من الكنيسة مع الماجور بوروس فوصلنا باب الخليل لما دخل الزائرون للقدس ووجهتهم باب الخليل يحملون السيوف والعصي بأيديهم، فانتظرنا حتى مرت من أمامنا مقدمة الخلق، وبعدها دخلنا لنزل (كراند نيو اوتيل) ومكثنا هناك نصف ساعة، سمعنا بخلالها هرج الزائرين ومرجهم، ثم أطينا من الشرفة فشهدنا قسم من الزائرين دخل باب الخليل وازدحم أمام النزل، وبعدها سمعنا صغيراً متواصلاً ولم تمضي بضعة دقائق إلا ورأينا يهودياً مكشوف الرأس وقد جره عشرة من الوطنيين وأعملوا في رأسه العصي، ومن الجهة الثانية رأيت شخصاً آخر جرح جرحاً بليغاً واثنين من رفقاءه يساعدون على تخليصه من أيدي المهاجمين عليه، وإذا بمسلم أتى من خلفه وطعنه في ظهره ورجع إلى الخلق المحتشد الذي سار خلفاً وأماماً ثم تفرق.

قبال باب الخليل شاهدت فارساً ألقى خطبة على الجمهور قبل 35 دقيقة من ابتداء الحركة.

(33) جريدة بريد اليوم، القدس، 28 أيار 1920

شهادة أحمد سليم أحد خيالة الشرطة بعد حلفة اليمين:⁽³⁴⁾

شهد بما يلي: "الأحد صباحاً (4 إبريل) وصلت مع زملائي الخيالة إلى بركة السلطان لمقابلة رجال الخليل، فرافقناهم حتى البلدية وهناك خطب بينهم شخصان لا أعرفهم. بعد ربع ساعة برجعنا إلى السوق وصلنا أمام صيدلية خريستاكي وهناك ابتدأت الحركة، وسألنا عن سببها أجابونا بأن أحد فتیان اليهود رشق العلم بحجر، فدفعنا الخلق ودخلناه إلى ما وراء الأسوار وبعدها ذهبنا للنقطة.
لا أعلم داعياً آخر للقلاقل لوقفنا 20-30 متراً بعيدين عن العلم، وقد سارت الأمور حتى تلك الدقيقة بنظام تام.

(34) جريدة بريد اليوم، القدس، 28 أيار 1920

شهادة كامل إبراهيم مبارك بعد حلفه اليمين: (35)

شهد بما يلي: "الي عشر سنوات في سنوات مضيت أربعة منها في الخليل، وعادتي في كل سنة مرافقة زائري النبي موسى وتهنئتهم بالعيد كما هي العادة. فاتباعاً لعاداتي هذه سرت مع أهل الخليل هذه المرة لأقدم لهم واجبات التهئة، وصعدت على شرفة النادي ولكن صراخهم وضوضائهم منعاني عن ذلك، وقد مزقت النشرة التي كتبت فيها خطبتي وقبل تمزيقها سمعت خطب تبريك مختلفة. خرجت من بيت واحد فرأيت أحد أهل الخليل مشيراً لرفيقه على اسرائيلي وسمعته يقول (هذا صهيوني ابن كلب)، فرد الاسرائيلي له نفس الكلام ورشقه بحجرة أخطئت المرمى فأصاب العلم، ومن ثم ابتدأ الشغب. كانت الفوضى بالغة أقصاها وألقى الخليليون العصي والحجارة، وسمعت دوي رصاص، لم أر الذين أطلقوا الرصاص، ولكن عند مشاهدتي أن سلاح الخليليين لم يكن سوى العصي والحجارة تأكد لدي أن العيارات النارية أطلقها اليهود. فخرجت من النادي وسرت إلى السوق ماراً بباب الخليل حتى وافيت حارة اليهود حيث تركت الخلق وسرت منفرداً لمنزلي. أما الخلق فسار قليلاً ثم تفرق، ولم أر أمراً يجدر نكره بعد قطعي نزل (كراند اوتيل).

(35) جريدة بريد اليوم، القدس، 28 أيار 1920

شهادة اللفتنانت بريستول

من فرقة السيك بعد حلفه اليمين: (36)

شهد بما يلي: "الثلاثاء صباحاً (6 إبريل) قريب الظهر أوفدوني وثلة من الجند لإخماد حريق هب في كنيس قريب للمحل المسمى (فيادولوروزه)، ولم أر هناك أقل شغب أو عراك بل رأيت النار مشتعلة بشرفة البيت وثلاث غرف، وكان بعض رجال الجمعية الصهيونية واقفين هناك بلباسهم الأبيض لا يأتون أقل حركة من شأنها إخماد النار بل جل همهم كان تخلص مجلدات التوراة.

فعثرت على الماء وأوصيتهم أن يأتوني بصفائح، وتساعدنا سوية على إطفاء اللهب، بوجودي في البيت رأيت اليهود يحملون كتبهم المقدسة، وكان الحريق قد انتهى فجمعت جنودي وعدت إلى النقطة المركزية.

في أثناء اخماد اللهب أتاني رجل وأنبأني بوجود عائلة محتاجة إلى النجدة، فتركت بعض رجالي لمحافظة البيت ورجال الاطفائية، وسرت مع الباقي للبيت الذي دلنا عليه المخبر، فدخلته ولم أجد أحداً فيه بل رأيت ثلاثة أولاد لا يتجاوز سنهم على الثمان سنوات يضعون النار في أطراف البيت فأخمدتها حالاً وعدت بجنودي.

س - هل يمكنك أن تحكم كم ساعة طال الحريق في الكنيس؟.

ج - لم يدم زماً طويلاً، فقط الأخشاب بقيت تشتعل ووجود رياش كثيرة في البيت ساعد على امتداد اللهب، وأظن أن النار وضعت عمداً في زوايا مختلفة.

س - هل تفتكر أن اليهود لم تكن لهم نية كبيرة في اخماد اللهب؟.

ج - بوصولي هناك لم أر منهم بادرة تدل على أنهم سعوا لإيجاد الماء، وقد قالوا أنهم يجهلون موضعها، جل سعيهم كان كما قلت قبلاً نقل مجلداتهم المقدسة. في طابق البيت الأسفل لم أشاهد أمراً ما، والطابق الأعلى حوى على قاعة وثلاث غرف.

(36) جريدة بريد اليوم، القدس، 1 حزيران 1920

شرفة الغرفة الأولى كانت مشتعلة، ولم أر إذا أتلّف مجلد من المجلدات المقدسة، وقد وجدت على عتبة إحدى الغرف أوراق مشتعلة. قبضت على صبيين نزلا من السلالم ولما لم أعثر على غيرهما في البيت فهمت أنهما وضعا لوحدهما النار، فاستقرتهما فأنكرا وبكيا ولا أعلم أبويهما.

س - هل كان يوجد دائماً رجال في الكنيس أو كانوا يحضروا فقط في أوقات

الصلاة؟

ج - لا أعلم إذا البيت كنيساً أو مجلساً دينياً.

شهادة اللفتانت كيدسون من فرقة السيك: (37)

شهد بما يلي: "يوم الاثنين (5 إبريل) الساعة 8 صباحاً أتاني أمر بمرافقة رجال الخليل من نقطة الشرطة إلى الحرم، كما وأني كلفت باتباع الأوامر التي يبلغني إياها اللفتانت هوس موظف الشرطة، وقد كان في معيتي 60 جندياً رتبت 30 منهم في مقدمة الخلق، و20 في مؤخره، والباقي في جنبه. أما رجال الخليل فقد كان عددهم 200.

فسرنا وإياهم للحرم مارين في البلدة، وقد تلقيت تبليغات ألا أسمح لأي كان بالاختلاط مع رجال الخليل، كما وأن أمنع المذكورين من الاختلاط مع أهل القدس، فوصلنا للحرم بدون أن يقع حادث، وقد أوقفت محافظة في كل منفذ من منافذ الحرم وفقاً للأوامر المبلغة إلي من البريكاديا، وقد أوصيت المحافظة بالسهر وعدم السماح لأحد بالعودة إلى المدينة، وبعدها رجعت وأربعون من رجالي حتى مفترق الطرق الفارق محلة اليهود عن محلة المسلمين، وهناك بلغوني أنه القيت الحجارة على بيوت اليهود، فأرسلت محافظة إلى المحلتين وسرت لمركز البريكاديا لأطلع القائد على وجود الخليليين في الحرم. أما الأهالي فلم يجتهدوا للاختلاط مع رجال الخليل.

شهادة اللفتانات مكثري بعد حلفه اليمين:⁽³⁸⁾

شهد بما يلي: "في الرابع لإبريل قريب الساعة التاسعة ونصف صباحاً كنت سائراً مع الماجور بوروس والكابتن ماك كريكور في القسم الواقع بين قهوة بريستول وباب الخليل، وإذ بخلق كبير آت من طريق بيت لحم يحمل الأعلام والعصي وبينه الفرسان يقومون بألعاب وسباق.

فدخلت لنزل (نيو اوتيل) لأتناول طعام الفطور، وفي الساعة العاشرة وربع خرجت إلى شرفة النزل فشاهدت ازدحام الخلق في الطريق المؤدية إلى النبي داوود، ووقع نظري على شيخ اسرائيلي مجروح بخنجر وقد عصب رأسه بردائه، وبعد دقائق رأيت صبياً يهودياً مطروحاً في الشارع والدم يسيل بغزارة من عينيه، والظاهر أن قوته لم تساعده على المسير فانت الشرطة وحملته.

لم أشاهد الذين تعدوا على الكهل الإسرائيلي وجرحوه بل رأيت رجلاً بين الجمع يحمل على جنبه قراب خنجر. أما الخلق الذي كان واقفاً تحت النزل فقد تراكض كأن هنالك ما يدفعه إلى الهرب من باب الخليل، والالتجاء إلى داخل البلدة".

(38) جريدة بريد اليوم، القدس، 8 حزيران 1920

شهادة سوبيدون مونكل بعد حلفه اليمين:⁽³⁹⁾

شهد بما يلي: "في السادس لإبريل الساعة الثالثة زوالية، أوفدوني مع محافظة إلى الكنيس الذي هب فيه الحريق، بوصولنا إلى البيت أطلق رجل كان فيه الرصاص علينا من ثقب الباب، فضربت نطاقاً على المنزل ودخلته فأطلقوا علي ثلاث رصاصات، فبادرت ورجالي وهجمنا على من كان في البيت شاهرين الحراب، أحد جنود المحافظة أطلق عياراً أصاب أحد الرجال في يده، وقد ألقى رجل آخر علينا الحجارة من غرفة داخلية، فقابلته ورفيقه بالرصاص وقتلتهم، وألقت المحافظة القبض على الثالث الذي تعمد الهرب.

وبعدها باشرت في التفتيش ولم أعثر على شيء، فأخذت جثتي القتيلين ووضعتهم في النقطة المركزية القريبة لباب الخليل، وسلمت البندقية والاحدى عشر خرطوشة التي أخذناها من اليهود إلى ضابط فرقة السيك".

(39) جريدة بريد اليوم، القدس، 8 حزيران 1920

شهادة اللفتانات بايسقوب بعد حلفه اليمين:⁽⁴⁰⁾

شهد بما يلي: "عهد إلي في السادس لإبريل مرافقة مائتين من الزائرين من نقطة شرطة باب الخليل حتى الحرم، ولم يقع حادث يجدر ذكره سوى الضوضاء التي أحدثها الزائرون في أثناء سيرهم.

قريب للساعة التاسعة أعلموني أن المسلمين تعدوا على اليهود، وأنه حدث شغب في مفرق الطرق الفاصل محطة اليهود عن محطة المسلمين. فأخذ اللفتانات قيديسون الذي كان معي بعض الجنود وذهب للمفرق وتركني في الحرم، وبعد قليل تبعته أنا مع الجنود الباقين معي.

وبوصولنا للمفرق سمعنا ضجة وأصوات أتت من جهة تبعد 50 يرد عن الحرم، فأخذت بعض الجنود وسرت لهنالك فشهدت صبياً إسرائيلياً جرح في رأسه ولم أصادف المعتدين عليه لأنهم هربوا قبل وصولنا، مع هذا فقد ألقيت القبض على 2-3 مسلمين أشار عليهم الجريح بكونهم من جملة الهاجمين عليه.

عند القائي القبض عليهم حدثت قلاقل في محل ثان يبعد 100 يرد عن المكان الذي كنا فيه، فذهبت إليه والتقيت بيهودي مجروح في رأسه وركبتيه، وقد فر المعتدون عليه، ولكني قبضت على شرطيين وعشرة مسلمين دلني عليهم اليهود، ولم يحدث تعدي أو تجاوز خلاف الحادثين اللتين ذكرتهما اليكم.

دخلت في النهار لبعض بيوت اليهود لأساعد رجال المستشفيات على نقل الجرحى فتبينت بذاتي هناك الأعراض وشهدت القتلى مطروحة، وقد قتل في بيت ربه وجرحت امرأة عجوزة جرحاً بليغاً وعرز رضيع بسيف في بطنه. في بيت آخر بلغتني امرأة أن المسلمين تعدوا على ابنها وطلبت مساعدتي، جميع القتلى والجرحى كانوا إسرائيليين وقد انسبت الفضائع إلى المسلمين.

(40) جريدة بريد اليوم، القدس، 8 حزيران، و18 حزيران 1920

الثلاثاء صباحاً (6 ابريل) حول الساعة الثامنة احتشد خلق كبير في البازار داخل السوق الجديد حول بيت تقطنه عائلة يهودية، وقد جرح الأب وابناه جروحاً قاسية ومثلت في ابنتيه الأفعال الشنيعة، فألقيت القبض على المسلمين الذين كانت لهم علاقة بهذه الوحشية. وعلي أن أذكر هنا أن اليهود راجعوني في يومي الاثنين والثلاثاء طالبين إبعاد أفراد الشرطة الوطنيين بعد ما أظهروه من تحريض المسلمين على ارتكاب المحرمات ومساعدتهم في التعدي على اليهود.

لم أر وسيلة لتفريق المسلمين يوم الثلاثاء سوى اطلاق الرصاص، فقد تجمهروا داخل محلهم القريبة للسوق الجديد فبذلت طاقتي قبلاً لتبديدهم بالكلام والوعيد فلم يعيروني سمعهم ووقفوا سداً حائلاً أمام الدار التي هتكت فيها الأعراض، فأرغمت على استعمال الرصاص ليتيسر لي الدخول إلى البيت، لا أعلم إذا أصبت أحداً لأنني لم أر قتيلاً أو جريحاً، وقد أقيت القبض على المسلمين الذين ارتكبوا الفظائع واشتركوا في السلب.

لا أتذكر إذا وصلتني شكايات من المسلمين، وقد أتتني امرأة مسيحية مدعية أن امرأة مسلمة تعمدت ذبحها.

وصلت إلى النقطة فأعلمت الضابط بواقعة الحال، ورجعت إلى المحافظة فوجدت الشرطي لا يزال واقفاً فاقتربت منه وسألته عن اسمه فأجابني أنه يدعى أمين، ولكن في الدقيقة ذاتها استدعاني اللفتاننت بريستول فلم أتمكن من القاء القبض عليه، فتركته مرغماً، ولكن تبينته بعدها عندما عرض على عموم الشرطيين بصف واحد فألقي القبض عليه".

شهادة الجندي نظرله سينك من فرقة السيك بعد حلفه اليمين:⁽⁴¹⁾

شهد بما يلي: "في الخامس لإبريل الساعة التاسعة ونصف كنت متجولاً في البلدة للمحافظة فوق نظري على رجل سائر في الطريق المؤدي إلى الحرم، وبغته سمعت صفيراً لم أفهم له معنى حتى رأيت بضعة أشخاص خرجوا من زوايا مختلفة وهجموا على الرجل وأشبعوه ضرباً وجرحوه في رأسه، فأسرع هذا إلي فأرسلته إلى اللفتانت قريسطوب المفوض بجميع نقط المحافظة، وقد أشار المجروح بإصبعه على خمسة رجال قائلاً أنهم كانوا من جملة المعتدين عليه، فأصدر الضابط أمره بسجنهم وسلمهم إلي.

فسرنا سوية في الطريق العارج على الحمام، فأشار الجريح على أربعة رجال كانوا في دخلته وعلى أحد أفراد الشرطة، فألقيت القبض عليهم أيضاً وقدتهم إلى نقطة الشرطة.

كان الجريح اسرائيلياً والمعتدون عليه مسلمين، وقد ألقوا عليه حجراً أصابه في رأسه فشججه.

(41) جريدة بريد اليوم، القدس، 18 حزيران 1920

شهادة قوماندان كيس سنك من فرقة السيك بعد حلفه اليمين:⁽⁴²⁾

شهد بما يلي: "يوم الاثنين (5 إبريل) الساعة السادسة ونصف صباحاً سرت مع دوريات المحافظة المركزية وتجوّلت في شوارع مختلفة داخل البلدة. بوصولي إلى مفرق الطرق رأيت جمعاً غفيراً وتصادفت هناك مع باشجاويش الشرطة فكلفني بمرافقة أحد اليهود إلى النقطة. فسرت معه وقد رافقنا شرطي سار على يساري حاملاً سكيناً في يده والخلق ورائنا حتى وصلنا إلى الطريق المؤدية إلى باب الخليل، وهناك صفر الشرطي صغيراً هب له الخلق ووثب علينا، فأوصيت رجالي بالرجوع القهقري والهجوم على الجمع بالحرب وتفريقه، فعملوا بما أمرتهم به وتفرق الخلق، وقد أدى ذلك لجرح ثلاثة رجال".

(42) جريدة بريد اليوم، القدس، 18 حزيران 1920

شهادة قاطنه سينك من فرقة السيڪ بعد حلفه اليمين:⁽⁴³⁾

شهد بما يلي: "في السادس لإبريل الساعة السادسة والنصف بينما كنت معسكراً داخل البلدة مع جنود المحافظة رأيت رجلاً متجها بسرعة إلينا، ولكن عند مشاهدته الجنود أراد الرجوع على أعقابه فندهته إلي وقتشته فوجدت معه مسدساً محشواً، وقد تبينت من حالة المسدس أنه جرى استعماله قبل بضع ساعات، فأوقفت حامله وسلمته إلى اللفتانت قريسطوب.

بعد تسليمي الرجل بربع ساعة سمعت استغاثة امرأة، وشاهدت صبياً يبغى سرقة حوائجها، فألقيت القبض عليه ولم أستفسر عن اسمه. وفي السابع لإبريل الساعة السابعة ونصف صباحاً سمعت ضجيجاً عالياً، فأسرت برجالي إلى محل الصياح فوق نظري على عشرة أو اثني عشر رجلاً ينهبون إحدى الدكاكين، وعندما اقتربنا منهم ولوا هاربين، ولكنني توصلت إلى القاء القبض على ستة منهم وفر الباقون وقد علمت أنهم مسلمون".

(43) جريدة بريد اليوم، القدس، 22 حزيران 1920

شهادة أمين سليم حموري من الخليل بعد حلفه اليمين:⁽⁴⁴⁾

شهد بما يلي: "الأحد صباحاً (4 إبريل) جلست في دكان راتب الجاعوني ولم أر شيئاً، بل وصلني أنه حدثت واقعة بين المسلمين واليهود. الدكان في باب الخليل تحت قهوة المعارف، وقد مر الخلق من هناك ولم تكن لي رغبة في مرافقته رغماً عن وجود الكثيرين من أصحابي ومعارفي معهم. رأيت ثلاثة أعلام ولكني لم أتبين حاملها، وعندنا يعدون حمل الأعلام شرفاً عظيماً. أما أنا فإنني أقضي معظم أوقاتي خارج الخليل ولا معرفة لي بكثيرين من أهلها. لقد رافق ابني عبد الرحيم الخلق في سيره وقد بلغوني أنه ألقى خطبة لم أسمعها.

إن مسألة حمل الأعلام رتبها أحداث الخليل ولا علاقة للعائلات فيها. لقد التقى ابني بالخلق في البقعة أمام المحطة حيث جلس عموم زائري الخليل. أما الأعلام فواحد منها لأهل الخليل، والثاني لأهل القدس، والثالث لأهل نابلس. بعد مرور الخلق من أمامنا لم ألحق به بل مكثت في مكاني، وسمعت البعض يقولون أن في نية اليهود الهجوم على العلم، ووصلني بعدها أنه وقعت مشاجرة قوية بين اليهود والخليليين، ولكن ابني لم يطلعني على ذلك.

لم أحضر للقدس بقصد الزيارة وليس لي أدنى علاقة مع رجال الخليل، ولذلك لم أسير معهم، وقد قلت إنني سمعت من البعض أن اليهود سيهجمون على العلم، ولم أعلم إذا أتوا بذلك.

لم أتقابل مع ابني ليلتها وقد رأيت في الغد فأخبرني بأنه قضى ليلته في اللوكاندة. أما عمره فبين العشرة والاحدى عشرة فقط."

(44) جريدة بريد اليوم، القدس، 22 حزيران 1920

شهادة عبد الرحيم أمين حموري البالغ 11 عاماً: (45)

شهد بما يلي: "كنت في المدينة قبل وصول الزائرين إليها، ثم ذهبت لاستقبالهم أمام بركة السلطان، وكنت معهم سائراً في مقدمة الخلق. بوصولنا لباب الخليل صعدت لشرفة النادي العربي وألقيت خطبة رتبتهأ بذاتي بدون أن يشير علي أحد، فمن عادتي القاء الخطب في المدرسة في زمن الجوائز. بعد تنمة خطبتي خطب بين الجمع رجل مسيحي وشخص آخر لا معرفة لي به، ولكن يسهل علي أن أتبينه إذا وقع نظري عليه مرة ثانية.

أما أنا فجلست فترة من الزمن في النادي، وبعدها نزلت للشارع فشاهدت رجم الحجارة. أسرعرت إلى دكان راتب الجاعوني ولم أذهب إليها بقصد رؤية أبي، وقد كان فيها ولم أنظره، كما أنني لم أشاهد أمراً ما أمام المخازن سوى الخلق الكبير وكله من لابسى اللغات والطرابيش وهم الذين كانوا يلقون الحجارة، ولما كان همي الوحيد القاء الخطبة لم أنتبه أبداً لكل ما حدث بعدما تمتتها.

لم يتعين شخص مخصوص لحمل علم الخليل، ولم يسألني أبي بشيء عندما قابلته وقد قضيت ليلتي في اللوكاندة".

(45) جريدة بريد اليوم، القدس، 22 حزيران 1920

شهادة صبري الداودي (جندي رقم 54) بعد حلفه اليمين:⁽⁴⁶⁾

شهد بما يلي: "يوم الأحد الواقع في 4 إبريل كنت ممن رافقوا الخلق، فسرت مع أهل نابلس وقد تقدم الخلق رجال الخليل ومعهم علمهم، وتبعهم النابلسيون، ومشى أهل القدس في مؤخرة الجمع.

سرت مع زملائي لبركة السلطان لمقابلة الخليليين ورفقناهم حتى باب الخليل، ووقفت الجموع تجاه قهوة المعارف حيث ألقى عارف العارف خطبته. ثم تقدم الخلق إلى النادي العربي وهناك أيضاً فاه كل من عبد الفتاح درويش و خليل بيدس بخطبة، وبعدها أخرج أخو المفتي رسم الأمير فيصل لشرفة النادي وعرضه للجموع قائلاً: (هذا هو ملككم).

وقد بت رأي الخلق على الذهاب في الشارع المؤدي لبركة مامبلا، ولكن ضابط الشرطة منعه وأرجعه رأساً على عقب، فسرت معه إلى أن وصلنا نزل امدورسكي، وهناك قال البعض أن اليهود يلقون الحجارة من النزل.

أخبرنا السرجانت ميجر هيرينكسطين بالواقع فأرسلني لأتحقق الأمر، فأسرت للنزل ولكنني وجدت بابه مقفولاً، ولما رجعت كان الشغب قد ابتدأ وشاهدت الكل يهرب مرعوباً، فوقفت أمام باب النزل ولم أسمح لأحد بالمرور داخل البلدة حتى أتت الفرق الإنكليزية وجرت الجموع لدخل البلدة.

بعد مرور الخلق رجعت لباب الخليل لأتبعين الحالة هناك، فتصادفت مع الشرطي ميخائيل جورجي وإذ أتى إلينا إبراهيم بك الجزار ضابط الشرطة وأوصى ميخائيل بالذهاب لمقر الحاكم العسكري، وأمرني بالبقاء في النقطة فمكثت فيها.

(46) جريدة بريد اليوم، القدس، 25 حزيران 1920

لقد رأيت الكثيرين يتراکضون خائفين ولكن لم يحدث أمر ما، وبعد برهة عاد موظف الشرطة بالجمع، وأظن أنه ذهب به من طريق بركة مامیلا إلى باب العامود فالحرم، ويظهر لي أن في البدء حملت الأعلام كلها في مقدمة الخلق. لما برز أخو المفتي من شرفة النادي عارضاً رسم الأمير فيصل للجموع قابلته بالتصفيق، وأظن أن عموم المحتشدين صفقوا عندما وقع نظرهم عليه فقط، ولم أر إذا حملوه بالمظاهرة أم أبقوه في النادي".

شهادة حمدان ابراهيم من الخليل بعد حلفه اليمين:⁽⁴⁷⁾

شهد بما يلي: "كنت أحد المشتركين مع أهل الخليل بمظاهرة الزائرين، وقد وقفنا يوم الأحد (4 إبريل) أمام قهوة المعارف حيث أديرت علينا كؤوس المرطبات. تقدمنا بعدها حتى وصلنا لبيت في باب الخليل وهناك ألقيت خطب مختلفة، فدخلت عند نهايتها لقهوة في نفس الشارع لا يتردد عليها سوى الحوذيون ورجال الخليل. دخلت القهوة لأشرب ماء وكانت الأعلام قد اختلطت مع بعضها، وإذا بيهودي تعرض لواحد منها وانتشله من أيدي حامليه ولكنه تركه حالاً وفر هارباً.

أما أنا فتقدمت لحامل العلم وسرت معه مصحوباً بشرطيين إلى الحرم ماراً بطريق باب الخليل. بعد مدة أتى محمود أفندي موظف الشرطة وأخذنا من الحرم إلى النقطة، وفي الغد ذهبنا إلى النبي موسى، وبعد اتمام الزيارة عدنا إلى الخليل. لقد رافقتنا الجنود إلى الحرم ولم تقع كل حادثة سوى تبادل الحجارة بين المسلمين واليهود حينما تعرض أحد هؤلاء للعلم. أما من البيوت فلم أر رجم حجارة كما وأنني لم أشاهد قتلى أو جرحى".

(47) جريدة بريد اليوم، القدس، 25 حزيران 1920

شهادة الشرطي أحمد محمود حسن بعد حلفه اليمين:⁽⁴⁸⁾

شهد بما يلي: "يوم الأحد (4 إبريل) بعد تتمة الخطب وعرض رسم الأمير فيصل على الخلق في باب الخليل، ابتداءً قسم من الجمع بالتقدم في الشارع الموصل لدائرة البريد، وأفكر قسم آخر بالسير في الجهة الثانية من الشارع المؤدية لبركة مامبلا، ولكن لم يسمح لهم بذلك واضطروا على الرجوع. بعدها بت رأيهم على الاجتماع في باب العامود ولكنهم لم يعتمدوا على الطريق التي يجب اتخاذها، وسألوا ضابط الخليل صالح حجازي شكري واختار كل منهم طريقاً لنفسه، وأخيراً عندما أعيد العلم لباب الخليل تبعوه كلهم، وعاد الخليليون أيضاً ومعهم علمهم، وعلم آخر أخضر، ورسم الأمير فيصل بين العلمين.

لما وصلوا أمام الأجزخانة خرج منها سرجانت الشرطة يرافقه رجل طويل القامة يلبس بدلة كحلية، وقد تكلم الاثنان بالعبرانية، وتقدم الأخير ومسك العلم الأخضر بيده وبصق عليه. شاهد الشيخ ذلك فاستل سيفه وهجم على الرجل قاصداً طعنه، وصرخ بالجموع مخبراً ما أتاه الاسرائيلي من الوقاحة، فغضب القوم وهجموا على الرجل، ولكنه فر مع السرجانت من الطريق العارضة على قهوة المعارف، وابتداءً القاء الحجارة على الأجزخانة.

لم يكن معي ولا مع الشرطي الذي كان يرافقني سلاح، فاجتهدنا بمساعدة الجنود البريطانية الذين خرجوا بوقتها من الكنيسة لدفع الخلق إلى داخل البلدة ومنعنا عليه الخروج منها. بعدها ذهب الشرطيون إلى نقطهم وأتوا بأسلحتهم. أما أنا فسرت مع الخلق ولم أشاهد خلال ذلك حادثاً، ولكن عند وصولنا إلى الزاوية سمعت صوت

(48) جريدة بريد اليوم، القدس، 29 حزيران 1920

اطلاق الرصاص في الربيع اليهودي وقد سمعه أيضاً مفتش الشرطة إبراهيم بك والمستر هوس والسرجانت ميجر .

لما انتهت الخطب في باب الخليل عرضها على الخلق رسم الأمير فيصل من شرفة النادي، فاستقبله الكل بالتصفيق ثم أنزلوه إلى الشارع ووضعوه بين العلمين، وتكلم رئيس البلدية موصياً الخلق بالإخلاق إلى السكينة.

وفقاً لأوامر اللفتنان هوس كلفت بالوقوف محافظاً في سوق العطارين لمنع النهب، وكان هناك السرجانت دابي وشرطيان لم يكن معهما سلاح. سمعنا بغتة طلقاً نارياً فأسرعت مع السرجانت لمصدر الصوت، فرأينا جنازة مارة تحت شرفة وقف فيها رجل بيده مسدس، وقد بلغوني أنه أطلق الرصاص على مشيبي الجنازة، وأتى إلي فتى قال إنه أصيب بالرصاص وقد رأيت بعيني جرحاً في رجله، وسمعت بعد ذلك طلقات متوالية من الأسطحة فتقدمت قليلاً، ولكن الرجل الذي وقف في الشرفة هددني بإطلاق الرصاص علي إذا لم أرجع إلى الورا، فوقفت تجاه الحائط ولكن الخلق كله هجم علي وأشبعني ضرباً قوياً، وقد أراد البعض أخذ مسدسي عنوة لينتقموا به من الرجل الواقف في الشرفة واتهموني بأني خائف منه.

فتوسدت الأرض في زاوية ومسدسي بيدي، ولكن الخلق لم يتركني بل زاد في ضربي حتى أتى السرجانت ميجر واللفتنان والمفتش إبراهيم بك وخلصوني. لا أعلم إذا الرجل الذي كان في الشرفة هو مسيحي أو يهودي، ولم أكن حاضراً عند إجراء التفثيش في بيته، ولكني تبينته عندما أتوا به إلى النقطة وكنت أحد مرافقيه لمنع الخلق من التعدي عليه، وقد أطلق الرصاص على مشيبي الجنازة قبل وصولي. الشخص الذي بصق على العلم لم يلقوا القبض عليه، ولكن يمكنني معرفته إذا رأيته".

شهادة اللفتنانت اك سكوتلاند من فرقة السيك بعد حلفه اليمين:⁽⁴⁹⁾

شهد بما يلي: "ذهبت للبلدة مع ثلة من جند المحافظة لتغيير الجنود الذين كانوا فيها يوم الاثنين صباحاً (5 إبريل)، فصادفت خارج البلدة قوماً يتخاصمون ويتضاربون بالعصي والحجارة ففرقتهم، وألقيت القبض على شخصين أحدهم مسلم والثاني يهودي تبينت أنهما المسؤولان عن الشغب الحاصل. وقد وقعت الحادثة في مفرق الطرق الواقع بجانب مخزن تصليح السيارات العائدة لشركة E.A.S.T، بعدها ذهبت بجنودي وتجولت في البلدة مفرقاً كل جماعة وجدتها بطريقي، ولم يحصل تعدي أو تجاوز خلاف الحادثة التي سردتها.

يوم الثلاثاء أرسلوا لنا رشاشاً يصحبه اللفتنانت هطنكر واللفتنانت شايفغ لتركزه في النبي داوود، وقد سمعت يوم الاثنين في المحل المذكور ثلاث طلقات متوالية مرت من فوق الأسطحة، ولم أتمكن من معرفة حقيقة مصدرها لبعده المسافة، ولم يكرر الحادث بعد تركيب الرشاش".

(49) جريدة بريد اليوم، القدس، 2 تموز 1920

شهادة السرجانت ميجر هرنكتون مفتش الشرطة الخصوصي بعد حلفه اليمين:⁽⁵⁰⁾

شهد بما يلي: "يوم الأحد (4 إبريل) قريب للساعة التاسعة ونصف دخلت القدس وعند وصولي لباب الخليل وقع نظري على جماعات آتية من طريق الخليل، وقد تبلغت بمناظرة الحركة والتأهب لكل حادث فجائي. فوقفت بزواية الشارع ومر الزائرون من أمامي، وبينهم البعض يرقصون وغيرهم يلعبون وينشدون كما هي العادة، وبوصولهم لباب الخليل ألقى شخص اسمه عارف العارف خطبة بين الزائرين ممتطياً فرس بيضاء، ويظهر لي أنه أشار على الخلق بالذهاب لجهة البلدية.

فركبت حصاني وسرت مع الجموع حتى وصلنا بناء البلدية، وهناك وقفوا وألقيت الخطب من شرفة النادي العربي، وقد فهمت من حركة الخطباء وتحمس الحاضرين أن هنالك أقوالاً محرّكة شعور سامعيها، وقد حمل أحدهم رسم الأمير فيصل بيديه وعرضه للخلق من شرفة النادي وكان ذلك داعياً لفرح العموم، فعلت الأصوات واشتد التصفيق، وابتدأ الزائرون بالمسير في الطريق المؤدية إلى بركة ماميلا، ولكن موظف شرطة الخليل منعهم وأعادهم لباب الخليل، فساروا بترتيب حتى أن هرجهم ومرجهم ولعب سيوفهم لم يتعدى العادة التي ألفنا رؤيتها.

وسرت أنا أيضاً راكباً بينهم إلى أن وصلنا تجاه نزل (نيو اوتيل) وإذا بعارف العارف أتى من خلفي وهمس في أذني قائلاً: (مستر هرنكتون، أنظر ما شأن هذا الرجل لئلا تحدث قلاقل). فأجلت الطرف ناظراً إلى خلفي فرأيت صبياً يهودياً يركض ومسلماً يسرع ورائه، وفي الدقيقة ذاتها علت ضجة كبيرة في الشارع، فتحرّكت العصي في الفضاء وألقيت الحجارة، ودفعت الرجال إلى داخل الشارع وخارجه، وتعدى البعض على اليهود المارين وأعملوا فيهم عصيهم.

(50) جريدة بريد اليوم، القدس، 2 تموز 1920

فدفعت حصاني من جهة النزل ووقع نظري على جنديين بريطانيين فأوصيتهم بالإسراع إلى مقر اليورقشير وإخبار ضابطه باسم مفوض الشرطة بالحضور سريعاً مع جنوده، وقد فعلت ذلك لعلمي بحرج الموقف وخطورة الحالة. وبعدها رجعت لباب الخليل لأواجه ضابط الشرطة، فشاهدت بجهة الشارع اليمنى جماعة من المسلمين يلقون الحجارة على 3-4 مخازن لليهود الواقعة في الجهة اليسرى، وكان على باب كل من المخازن المذكورة شرطي يجتهد بمنع المتعدين عن الدخول إليها ونهبها، فذهبت إلى الضابط وأخبرته بالواقع وبما قمت به، وطلبت منه أن يؤذن لي بإخراج الجنود الموجودين في الكنيسة فأجابني على طلبي.

فأسرعت حالاً للكنيسة وطلبت الجنود مطلعاً ضابطهم على ما توجبه الحالة، وعدت إلى الخلق. فأصبت بحجرين ظهر لي أن الواحدة ألقيت من سطح النزل المركزي، فصعدت إليه لألقي القبض على الفاعل، ثم جمعت جرحى اليهود أمام نقطة شرطة باب الخليل وأجريت اللازم لنقلهم إلى المستشفى، بينما كان مفوض الشرطة يرسل التعليمات لقائد الجند ليطلب منه اسعافه بقوات محافظة ليوزعها على مداخل المدينة والأنحاء اليهودية. أما أنا فأخذت معي ثلة من الجنود وذهبت ماشياً لداخل البلدة.

شهادة اللفتانت فرايمن بعد حلفه اليمين: (51)

شهد بما يلي: "يوم الأحد (4 إبريل) في العاشرة صباحاً شاهدت خلقاً جامعاً تجاه الأنجلوإبشيان بنك، بينما كان أحد موظفي الجندية اللفتانت طاخ يأخذ صوراً فوتوغرافية من سطح أحد بيوت الشارع المقابلة للبنك، بعد فراغه من عمله سار لباب الخليل وقد اقتربت جماعات أخرى تحمل علماً.

فوقفت متبرجاً ووقع نظري على عدد من اليهود كانوا واقفين أيضاً ليشاهدوا ما هناك، وعند مرور الجمع الذي يحمل العلم بصق هؤلاء على الأرض وحركوا أكتافهم، وأظن أن الحادث جرى بالقرب من الأجزخانة.

كان مع الخلق عدد من فرسان الشرطة، ولا أتذكر أنني نظرت بعض مشاة البوليس هناك. أما العلم فكان مثلث الألوان أخضراً وأسوداً وأبيضاً، واقتكر أنه يشبه العلم الحجازي، ويقيني بأنه لم يحدث أدنى تجاوز عليه.

عند ابتداء الشغب بينت لمن يلزم أن الجموع الواقفة أمام الأجزخانة لها رغبة في إحداث قلاقل، فلأوفق أن يخلدوا إلى السكنية أو يذهبوا في شأنهم، ووقتها فقد النظام بين الزائرين واختلط حاملو العلم بالخلق وقام الضجيج، فذهبت لنزل (نيو اوتيل) وسارت الجموع في الطريق المؤدية لداخل البلدة، فسمعت صفيراً انقسمت على أثره الجموع إلى شطرين، وذهب شطر واحد بطريق باب الخليل إلى الشوارع الكبرى.

رأيت 6-8 مسلمين يضربون امرأة فتقدمت وخلصتها من أيديهم، ثم شاهدت صبياً اسرئلياً ضربه الزائرون فأسرعت لمساعدته، ولكنه فر هارباً لداخل البلدة، وعند رجوعي التقيت برجل مطروح على الأرض والمسلمون حوله يضربونه بقساوة، فاقتربت منه وكان وجهه ممزقاً، وبينما كنت أساعده على النهوض أتى مسلم من ورائه وغرز سيفاً في ظهره، فصرخت على شرطيين كانا بالقرب مني وأوصيتهما بنقله إلى النيو

(51) جريدة بريد اليوم، القدس، 9 تموز 1920

اوتيل ففعلا، وبينما كنت أشيعهما بنظري شاهدت أحد الزائرين تعرض لشيخ يهودي
وضربه.

عند اللقاء الخطب كانت الأمور هادئة حتى أنه لم يخطر قط ببالي أن الأمر
سيؤول إلى الفلاقل التي حدثت".

شهادة اللفتانات طاخ بعد حلفه اليمين:⁽⁵²⁾

شهد بما يلي: "دخلت القدس أول يوم من عيد الفصح في الساعة العاشرة صباحاً، فشاهدت الخلق تجاه الانجلواجبشيان بنك وقد وقف رجل على شرفة أحد المنازل المقابلة للبنك، فصعدت للشرفة أنا أيضاً ووقفت بإزائه مدة ثلاث دقائق أخذت خلالها رسم الجموع بآلة فوتوغرافية، وذهبت بعدها لنزل (نيو اوتيل).
لم أترك الشرفة إلا وابتدأ الشغب، وألقيت الحجارة وكسر زجاج المخازن، وقد قال لي اللفتانات فرايمن أثناء ذهابنا إلى النزل أنه يرى أن الزائرين في نيتهم اطلاق الراحة العامة فلأحسن أن يعودوا إلى بيوتهم. أما أنا فلم أنتبه إلى ملاحظته لانهماكي في رسومي.

مكثت 10 دقائق في النزل ثم غادرته، وسرت لبيت قريب لباب الخليل، وكان الخلق وقتها في أشد درجة الهياج، فصعدت لسطح البيت وشاهدت أحد رجال الفرقة المصرية N.C.O. يصفر صغيراً حاداً انقسم الخلق على أثره لأقسام مختلفة وقامت الحركة.

وقد دعي **السرجانت ميجر⁽⁵³⁾** للتحقيق مرة أخرى لتوضيح مسألة الصفير، فقال: "من عادة البوليس استعمال الصفير عند حاجتهم لطلب المساعدة. أما الشرطة عندنا فقلما يعملون بهذا الأصول، ولم يتدبروا عليه بعد، ويتعذر على التقيد بيمين والتصريح بأني سمعت صغيراً في أثناء القلاقل.

(52) جريدة بريد اليوم، القدس، 9 تموز 1920

(53) جريدة بريد اليوم، القدس، 9 تموز 1920

شهادة اللفتنان موركيل بعد حلفه اليمين: (54)

شهد بما يلي: "في ظهر أول يوم من عيد الفصح (4 إبريل) كنت بجهة باب العامود، فشاهدت جمعين من اليهود تحتوي كل واحدة منهما على ستين شخصاً مسلحين بعصي، وقد مروا أمامي ووقفوا أمام البوابة ثم ساروا بصفوف مرتبة في الطريق المؤدية للمستشفى الإيطالي.

اقتربت من حوزي وسألته عنهم فأجابني أنهم يهود، وكانوا يلبسون ثياباً فرنجية وإشارات الغضب كانت بادية على محياهم، وقد تفرقت على الأثر الجموع التي تجمهرت هنالك.

شهادة ش. عوبد عامي أحد موظفي الجمعية الصهيونية بعد حلفه اليمين:⁽⁵⁵⁾

شهد بما يلي: "لقد سمعت اليوم صباحاً شهادة قيل فيها أن رجلاً طويل القامة متورد الوجهين كان واقفاً على الشرفة تجاوز على العلم الأخضر وبصق عليه، فجنبت أنا الآن بشهادتي مفيداً أنني أعرف الرجل المذكور حق المعرفة، وهو من أصدقائي اسمه لئوبولد فرانق، وعنوانه WESTRORNE TERRACE 49 بلندن، وقد حضر منها حديثاً بقصد الزيارة وصادف وجوده أثناء وقوع الحادث في الأجزخانة، ولا ريب أنه الآن في بيروت قاصداً أثينا".

(55) نفس المصدر.

شهادة جريس ددوك بعد حلفه اليمين:⁽⁵⁶⁾

شهد بما يلي: "كنت يوم الأحد (4 إبريل) في بيتي. أما يوم الثلاثاء (6 إبريل) قريب الظهر فقد خرجت من دير يوسف الصديق وقصدت البيت ماراً بطول الشارع العارج على مستشفى روتشيلد. كنت سائراً وإذ شعرت أن أناساً يجرون خلفي فأدرت نظري فشاهدت اثنين من اليهود يتبعاني وبيد الواحد منهما سكين وبيد الآخر مسدس، فأسرعت الخطى هارباً منهم وهم أيضاً ورائي، وقد هددوني بسلاحهم. لا أعلم من أية جهة أتوا، ولم أشعر إلا وهم مسرعون ورائي. أنا من القدس ويمكنني معرفة اليهودي من غير اليهودي".

(56) المصدر السابق.

شهادة السيدة اميليا خضر (مسيحية) بعد حلفها اليمين:⁽⁵⁷⁾

شهدت بما يلي: "يوم الاثنين (5 إبريل) في الساعة العاشرة صباحاً كنت واقفة بباب بيتي الواقع وراء دار الأيتام السورية، فوقع نظري على البعض من اليهود يتبعون مسلمين في شارع يافا، فدخلت البيت وشاهدت منه يهوديان من أبناء البلاد يلبس أحدهما قبعة من القش، والثاني قبعة عادية مستديرة، وقد ألقوا الحجارة على البيوت وحطموا نوافذها، وتعرض ثلاثة من جنود اليهود شاهرين السلاح لامرأة بدوية كانت واقفة خارج أحد البيوت القريبة، وقد هرب منه أهله.

أما ما أثبت لي أنهم يهود فهي العلامة التي على قبعاتهم، وبعد أن ضربوا النساء جمعوهن وأخذوهن معهم.

لم تمض مدة إلا ومر من أمامنا سبعة من اليهود ومعهم جنديان يهوديان، وقد أتوا من وراء بيتنا مارين بحرش الزيتون. في ذات الوقت شاهدت اثنين من القرويين يركضون، فسألت أحدهما عن الواقع فلم يجبني بل أسرع ورفيقه ووجهتهما قرية لفتا، وأتى الجنديان بعدهما والباقون أيضاً وفتشوا البستان ليقفوا على أثر القرويين الهاربين فلم يعثروا عليهما، بل التقوا بفتى بدوي وأخته ففتشوه وضربوه بقبضة البندقية، ولا ريب عندي بأن الجنديين كانا من اليهود، وقد رافقهم أيضاً أحد رجال الجمعية الصهيونية، ودليلي على ذلك النجمة الحمراء التي كانت على ذراعه ولطالما صادفته في دائرة الحاكم العسكري بالقدس.

لقد تجمهروا كلهم على الفتى البدوي، وأخذوا مندليه من على رأسه وضربوه حتى ألقى على الأرض وسالت دماؤه، إلى أن قال لهم رجل الجمعية الصهيونية كفى،

(57) المصدر السابق.

فجراه اثنان منهم وساقوه معهم، وتفرق الباقيون، وعندما صاحت أخته رجموها بالحجارة، وقد قالت إنها أتت من بيت اكسا وكانت عازمة على العودة وأخوها إليها. بعد ذهاب اليهود سمعت دوي رصاص صادراً من الحرش الذي هرب إليه القرويان، ولم أر شيئاً في أيديهما عند مرورهما هارين من أمامنا.

قرارات لجنة التحقيق

تلك هي الشهادات التي تليت أمام لجنة التحقيق، وقد قصدنا من تسجيلها ليقف القارئ على الرؤى المتناقضة والمتوافقة من أحداث ثورة العشرين بالقدس، كما تكشف هذه الشهادات التناقضات والمواقف المتباينة في شهادات ضباط وجنود الإنجليز تجاه الأحداث، والموقف من أفعال اليهود، إذ كان بعضهم يحاول في شهادته أن يسجل أن الأحداث افتعلها العرب المسلمين ضد اليهود، نجد في شهادة اللفتنانت بايسقوب ما يشبه الفيلم السينمائي في اعتداء المسلمين على اليهود، في حين لم يأت شبيهاً في شهادات الآخرين من ضباط الإنجليز، في المقابل كان آخرون يؤكدون على دور اليهودي في اشعال الأحداث، واعتدائهم على الأهلين، وأنهم كانوا مسلحين سواء في إطار الشرطة البريطانية أو خارجها، ويؤكدون على اعتقال العرب بمجرد توجيه تهمة لهم من اليهود، وآخرون يشهدون بما روي لهم وليس بما شاهدون من اعتداء المسلمين على العرب، وآخرون كانوا يلصقون التهم برجال الشرطة العرب الذين عملوا مع الشرطة البريطانية، ولكن الشهادات التي قدمت تؤكد واقعة الاعتداء على العلم والبصق عليه، فهذا الشرطي أحمد محمود حسن يقول في شهادته ما يؤكد حقيقة التعاون البريطاني الصهيوني في الاعتداء على الرموز العربية، يقول: "لما وصلوا أمام الأجزخانة خرج منها سرجانت الشرطة يرافقه رجل طويل القامة يلبس بدلة كحلية، وقد تكلم الاثنان بالعبرانية، وتقدم الأخير ومسك العلم الأخضر بيده وبصق عليه. شاهد الشيخ ذلك فاستل سيفه وهجم على الرجل قاصداً طعنه، وصرخ بالجموع مخبراً ما أتاه الاسرائيلي من الواقعة، فغضب القوم وهجموا على الرجل، ولكنه فر مع السرجانت من الطريق العارجة على قهوة المعارف، وابتدأ القاء الحجارة على الأجزخانة". وكذلك شهادة اللفتنانت فرايمن تؤكد الواقعة أمام الأجزخانة، يقول: "فوقفت متفرجاً ووقع نظري على عدد من اليهود كانوا واقفين أيضاً ليشاهدوا ما هناك، وعند

مرور الجمع الذي يحمل العلم بصق هؤلاء على الأرض وحركوا أكتافهم، وأظن أن الحادث جرى بالقرب من الأجزخانة". أما شهادة موظف الجمعية الصهيونية أكدت واقعة البصق على العلم والتي كانت سبباً في اندلاع الأحداث، وذكر اسم اليهودي الذي قام بالفعل، يقول: "كان واقفاً على الشرفة تجاوز على العلم الأخضر وبصق عليه، فجننت أنا الآن بشهادتي مفيداً أنني أعرف الرجل المذكور حق المعرفة، وهو من أصدقائي اسمه لئوبولد فرانك". وبعد هذه الشهادات يتأكد للقارئ أن اليهود الصهاينة وبمساعدة القوات البريطانية هم الذين سعوا لإحداث الفتنة وتخريب موسم النبي موسى. أما ما يتعلق بالاعتداء على الصبي اليهودي كانت الشهادات حولها متناقضة، ولكنها تشير إلى تلفظ الصبي بألفاظ خادشة ضد العلم والمسيرة.

في حين أظهرت شهادة موسى كاظم الحسيني الدوافع التي أدت إلى وقوع الأحداث، ودور اليهود في اندلاع الثورة (الفتنة)، وقد جاءت متوافقة مع ما ذكره خليل بيدس في كتابه أن السبب الرئيسي هو الاعتداء والبصق على العلم. كذلك أكدت بعض الشهادات لعرب مسلمين ومسيحيين على الدور اليهودي في الاعتداء على الأهلين بما شاهدوه بأعينهم. ويؤكد الباحث الاسرائيلي "يائير فالاخ" في دراسته: "سبب الاشتباكات وفق الشهادات أمام لجنة التحقيق البريطانية، فحواها أن يهودياً بصق على راية إبراهيم الخليل".

وبعد أن استمعت اللجنة إلى شهادات الشهود، رغم محاولات اليهود وبعض الضباط الإنكليز الداعمين لهم الصاق تهمة الأحداث بالعرب، إلا أن اللجنة تداولت في حيثياتها كل الشهادات، ولم توجه اتهاماً لأحد من الطرفين، وإنما طرحت في تقريرها أصل الخلاف والمشكلة، لذا خلصت في تقريرها إلى أسباب الاضطرابات تعود إلى الأمور التالية:

- خيبة الأمل من عدم الوفاء بالوعد التي قدمتها لهم الدعاية البريطانية.

- عدم القدرة على التوفيق بين سياسة الحلفاء المعلنة لتقرير المصير مع وعد بلفور، مما أدى إلى الشعور بالخيانة والقلق الشديد بشأن مستقبلهم.

- سوء فهم المعنى الحقيقي لوعده بلفور ونسيان الضمانات المقررة فيه، بسبب الخطاب الفضفاض من السياسيين والتصريحات والكتابات المبالغ فيها للمهتمين وعلى رأسهم الصهاينة.

- الخوف من المنافسة والهيمنة اليهودية، تبرره التجربة والسيطرة الظاهرة التي يمارسها الصهاينة على الإدارة.

- الطيش والعدوان الصهيوني منذ وعد بلفور فاقم هذه المخاوف.

وانتقد التقرير بعض أعمال القيادة العسكرية لإدارة أراضي العدو المحتلة (يقصد السلطات البريطانية)، ولا سيما انسحاب القوات من داخل القدس في وقت مبكر من صباح يوم الاثنين 5 إبريل، وأنه بمجرد إعلان الأحكام العرفية، كان من البطء استعادة السيطرة.

وأعرب التقرير عن قلقه إزاء الوضع في فلسطين، واصفاً إياه بـ "الخطير للغاية". وأشار إلى تخوف العرب من أن تؤدي الهجرة اليهودية الواسعة إلى سيطرة يهودية على فلسطين.

وثمة ظاهرة تبلورت إبان ثورة 1920 وكشفت عن وحدة السياستين الإنكليزية والصهيونية في فلسطين، وهي نشوء وحدات عسكرية شكلها جابوتتسكي الذي كان يحارب في صفوف الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، كما ذكرنا سابقاً.

وقد جاء في تقرير لجنة بالين أن هذه الوحدات شكلت دون موافقة الإدارة العامة (البريطانية) أو معرفتها، ولكنها "كانت تتدرب بصورة علنية وراء مدرسة "ليميل" وفوق قمة جبل الزيتون. وهو أمر عرفه العرب خلال شهر آذار 1920. وأهم من ذلك وأعظم دلالة أن الإدارة العامة اتخذت، حسب تقرير اللجنة، قراراً باستخدام "هذه الوحدات غير الشرعية".

لفتت ثورة القدس أنظار مؤتمر السلام في سان ريمو الذي عقد في 19 إبريل 1920 إلى النزاع العربي- الصهيوني في فلسطين. وقد وضع المؤتمر على جدول أعماله تسوية جميع المسائل الباقية من مؤتمري باريس ولندن، ولكن المؤتمر، بدلاً من أن يعيد النظر في سياسة بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين، منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وحدد واجباتها من خلال تضمين صك الانتداب نص وعد بلفور على الرغم من التناقض الواضح بين فرض وعد بلفور على الشعب الفلسطيني وبين حق هذا الشعب في تقرير مصيره وسياره نحو الاستقلال بموجب عهد عصبة الأمم ووعود الحلفاء المقطوعة في هذا الصدد.

بادرت الحكومة البريطانية إلى تعيين هيربرت صموئيل السياسي اليهودي الصهيوني المعروف الذي كان يشغل عام 1916 منصب وزير الداخلية، أول مندوب سام في بريطاني في فلسطين. وقال صموئيل في مذكراته إنه "عين في المنصب المذكور مع معرفة حكومة صاحبة الجلالة التامة بعواطفه الصهيونية، بل بسبب هذه العواطف إلى حد كبير".

وقد تولى هيربرت صموئيل الإدارة البريطانية وهو متسلحاً بالأفكار الصهيونية وبالخطط البريطانية لتهويد فلسطين، حيث سنت في عهده مئات القوانين العنصرية التي حجت نشاط العرب الفلسطينيين، وحثت اليهود الصهاينة وسهلت هجرتهم مما زاد في عهده التوتر والاضطرابات والاحتجاجات. لذلك حظر حاكم حيفا البريطاني في 25 آذار 1921 المظاهرات محذراً من مغبة ذلك ومنذراً بفرض العقوبات على من يشتركون في تظاهرات تحظرها الحكومة. وقد تحدى الفلسطينيون أوامره وخرجوا في مظاهرة واصطدموا بالبوليس مما أدى إلى مقتل صبي مسيحي، ورجل مسلم، وإصابة مسيحي آخر برصاصة، كما أصيب عشرة يهود بجروح نتجت عن ضربات بالعصي والحجارة، وأصيب كذلك خمسة من رجال البوليس بإصابات طفيفة.

وبعد ثلاثة أيام رفض حاكم يافا منح الإذن بإقامة مظاهرة سلمية، ونتيجة لذلك أقلت جميع المتاجر الإسلامية أبوابها، وفي اليوم نفسه سارت في القدس مظاهرة ضخمة، ولكنها منظمة للاحتجاج ضد تصريح بلفور". وفي 21 إبريل/ نيسان ألتقت القوات البريطانية القبض على الأمير محمود الزيناتي، فهاجمت جموع العرب السجن البريطاني، وأخرجوا السجن عنوة وقوة، وتجمعت القوات البريطانية من حيفا وطبريا، ونشب قتال كبير هاجم العرب خلاله سمخ وبيسان وبعض المستعمرات اليهودية التي هرب منها اليهود تحت وطأة ثورة الفلسطينيين.

وعندما زار "ونستون تشرشل" وزير المستعمرات البريطاني فلسطين في 28 مارس/ آذار 1921م، يقول الكيالي: "وجد أن الفلسطينيين متلهفون على أن ينقلوا إليه حيثما ذهب مشاعرهم القوية ضد الصهيونية، فمع أنه لم يعلن رسمياً موعد وصول القطار الخاص الذي يقل وزير المستعمرات والمندوب السامي إلى غزة، فقد استقبلتهما حشود كبيرة مترقبة من الناس، كما قدم أشخاص كثيرون من القرى المجاورة، وكانت تسمع في غضون الزيارة هتافات: يسقط بلفور، لا نريد اليهود". وفي الثامن والعشرين من مارس/ آذار 1921 وقف في القدس "ونستون تشرشل" يمجّد قتلى الصليبيين والمكابيين اليهود، فتظاهر العرب ضد خطابه هذا منددين بالخيانة البريطانية للعرب، وهاتفين بسقوط بلفور ووعده وحكومته، وقد أطلق الجنود البريطانيون النار على المتظاهرين فسقط عديد من قتلى العرب.

ومنذ الاحتلال البريطاني وتواصله في الاحتلال الاسرائيلي ما زالت الثورات والانتفاضات في القدس قائمة بما يشبه الحالة اليومية دفاعاً عن المقدسات الاسلامية والمسيحية في مواجهة الاجراءات الاسرائيلية لتهويدها، والغاء صفتها العربية.

مراجع الدراسة

- 1- أحمد الشقيري: أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، بيروت 1969.
- 2- أسعد رزوق: اسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968.
- 3- إميل الغوري: المؤامرة الكبرى - اغتيال فلسطين ومحق العرب، القاهرة 1955.
- 4- بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 - 1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1981.
- 5- جريدة بريد اليوم: جريدة صهيونية باللغة العربية، وكان مدير الإدارة المسؤول أ. سفير. اهتمت بالشؤون السياسية، والأدبية، والاجتماعية والزراعية. حاولت الصحيفة تعريف السكان العرب في البلاد بالصهيونية من بوابة أن الحركة الصهيونية تعمل على تطوير البلاد وتحديثها، وهذا أدخلها في جدالات ومقالات ضدها مع صحف عربية؛ على رأسها جريدة الكرمل لصاحبها نجيب نصار. كانت تصدر في القدس منذ عام 1920 مرتين في الأسبوع.
- 6- جريدة بيت المقدس، جريدة عربية، لصاحبها بندلي الياس مشحور، وكانت في آرائها ومقالاتها تحمل روحاً معادية لحركة الاستيطان الصهيونية في فلسطين، ولكنها لم تحمل العداة ذاته تجاه حكومة الانتداب وسياساتها في فلسطين، إلا أنها كانت تطالب باستمرار بإلغاء وعد بلفور. كانت تصدر في القدس منذ عام 1919 مرتين في الأسبوع.
- 7- جريدة القدس الشريف، جريدة عربية سياسية، لصاحبها: حسن صدقي الدجاني، وقد أعلنت منذ البداية مجاهرتها بمعارضة الهجرة اليهودية إلى فلسطين. كانت تصدر في القدس منذ عام 1920 مرتين في الأسبوع.

- 8- جريدة مرآة الشرق، جريدة عربية، لصاحبها: بولس شحادة، وقد كانت سياسة الصحيفة متواطئة في أحيان عديدة مع سياسة سلطات الانتداب بعين الرضا، كما واتّهمت أحياناً على يدي عدة زملاء صحافيين بوصفها بوق لسلطات الانتداب حتى في حال تعارض سياسة هذه السلطات مع صالح المجتمع العربي وطموحاته الوطنية. كانت تصدر في القدس منذ عام 1919 مرتين في الأسبوع.
- 9- خليل السكاكيني: اليوميّات، الكتاب الثالث، تحرير أكرم مسلم، مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات الثقافية، رام الله 2004.
- 10- شمس الدين السيوطي: اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، ج. الثاني، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984.
- 11- صالح مسعود بو بصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، بيروت 1968.
- 12- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، الطبعة الخامسة، القدس 1999.
- 13- عبد الوهاب كيالي: تاريخ فلسطين الحديث، بيروت 1973.
- 14- عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا 1937.
- 15- فرنسيس إميلي نيوتن: خمسون عاماً في فلسطين، مطابع صادر الريحاني، بيروت 1947.
- 16- كامل العسلي: موسم النبي موسى - تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الاردنية، عمان 1990.
- 17- كامل محمود خلة: فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، المنشأة العامة للنشر، طرابلس 1982.

- 18- مجير الدين الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج الأول، مكتبة المحتسب، عمان 1973.
- 19- منيرة داود معالي: دور الخليل في الحركة الوطنية الفلسطينية 1917 - 1948، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، أيار 2011.
- 20- ناصر الدين الأسد: خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين، معهد الدراسات العربية، القاهرة 1963.
- 21- يائير فالاخ: رايات موسم النبي موسى - سجل اختفاء، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 105، بيروت، شتاء 2016.

الفهرس

- 7 - المقدمة
- 15 - القسم الأول
- 15 - نص الكتاب
- 16 - كتاب/ حديث السجون
- 17 - خليل بيدس
- 47 - القسم الثاني
- 47 - القدس - ثورة العشرين
- 49 - القدس: موسم النبي موسى
- 64 - القدس: أسباب ثورة العشرين
- 71 - اندلاع ثورة القدس 1920
- 77 - صدى الثورة في الصحافة وتباين الروايات
- 87 - تداعيات الثورة .. وعنف السلطات البريطانية
- 96 - الاعتقال ومحاكمة الخطباء
- 105 - محاكمة اليهود الصهيونيين
- 108 - تخفيف الحكم ... والإفراج عن المعتقلين
- 113 - القسم الثالث
- 113 - لجنة بالين .. وشهادات التحقيق
- 115 - تشكيل لجنة بالين
- 117 - شهادة موسى كاظم الحسيني
- 117 - رئيس بلدية القدس
- 124 - شهادة الماجور م. بوروس
- 124 - من فرقة السيك بعد حلفه اليمين
- 129 - شهادة أحمد سليم أحد خيالة

- 129 - الشرطة بعد حلفه اليمين
- 130 - شهادة كامل إبراهيم مبارك بعد حلفه اليمين
- 131 - شهادة اللفتناننت بريستول
- 131 - من فرقة السيک بعد حلفه اليمين
- 133 - شهادة اللفتناننت كيدسون من فرقة السيک
- 134 - شهادة اللفتناننت مكنزي بعد حلفه اليمين
- 135 - شهادة سوييدون مونكل بعد حلفه اليمين
- 136 - شهادة اللفتناننت بايسقوب بعد حلفه اليمين
- 138 - شهادة الجندي نظرله سينک
- 138 - من فرقة السيک بعد حلفه اليمين
- 139 - شهادة قوماندار كيس سنیک
- 139 - من فرقة السيک بعد حلفه اليمين
- 140 - شهادة قاطنه سينک من فرقة السيک
- 140 - بعد حلفه اليمين
- 141 - شهادة أمين سليم حموري
- 141 - من الخليل بعد حلفه اليمين
- 142 - شهادة عبد الرحيم أمين حموري البالغ 11 عاماً:
- 143 - شهادة صبري الداودي (جندي رقم 54)
- 143 - بعد حلفه اليمين
- 145 - شهادة حمدان ابراهيم
- 145 - من الخليل بعد حلفه اليمين
- 146 - شهادة الشرطي أحمد محمود
- 146 - حسن بعد حلفه اليمين
- 148 - شهادة اللفتناننت اك سكوتلاند

- 148 -من فرقة السيك بعد حلفه اليمين
- 149 -شهادة السرجانت ميجر هرنكتون مقنش
- 149 -الشرطة الخصوصي بعد حلفه اليمين
- 151 -شهادة اللفتنانت فرايمن بعد حلفه اليمين
- 153 -شهادة اللفتنانت طاخ بعد حلفه اليمين
- 154 -شهادة اللفتنانت موركيل بعد حلفه اليمين
- 155 -شهادة ش. عوبد عامي أحد موظفي الجمعية الصهيونية بعد حلفه اليمين
- 156 -شهادة جريس ددوك بعد حلفه اليمين
- 157 -شهادة السيدة اميليا خضر (مسيحية)
- 157 -بعد حلفها اليمين
- 159 -قرارات لجنة التحقيق
- 164 -مراجع الدراسة